تلاوة القرآن المجيد

فضائلها – آدابها – خصائصها

بقلم

عبد الله سراج الدين

أيها القارئ الكريم : اقرأ سورة الفاتحة كلما قرأت في كتاب من كتبي ، واهدِ ثوابها إلى العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، حامل لواء الحجة بالكتاب والسنة ، المفسر والمحدث بالأسانيد المتصلة ، عن كبار المحدثين – في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية – بإجازات عالية الأسانيد – محفوظة عندي – سيدي وشيخي والدي الكريم ، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني ، رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيراً ، إنه هو السميع العليم . آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين . وبعد :

فإني رأيت أكثر المسلمين قد أعرضوا عن تلاوة كتاب ربهم ، وكادوا يتخذونه قرآناً مهجوراً ، وذلك مما أدى بهم إلى نسيان قراءته ، والغلط الفاحش في تلاوته ، مع أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة قد أوجبت وحتمت ، وأمرت وألزمت بتلاوة القرآن الكريم : نصاً ولفظاً ، وبتلاوته حق تلاوته اعتقاداً وعملاً ، وتحققاً وتطبيقاً، وحذرت تلك النصوص كل التحذير من عواقب هجره والإعراض عنه ، وعدم التمسك به ، والعمل بمقتضاه ، كما سيتضح في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

فمن ثمّ أردت أن أجمع في هذا الكتاب فصولاً موجزة ، أذكر فيها أطرافاً من الأدلة التي تلزم المسلم بالمواظبة على تلاوة القرآن الكريم ، وتبين له أنها من أهم العبادات ، وأعظم القربات ، كما وأني أذكر ما يحف حول ذلك من آداب القراءة ومطالبها ، وضرورة تعلمها وتعليمها ، وما يترتب على تلاوة القرآن الكريم من آثار ، وما تعطيه من أنوار وأسرار .

وأذكر – إن شاء اله تعالى– بعض ما جاء من خصائص الآيات والسور

وأبين ضرورة التمسك بالكتاب الإلهي ، وكيف كان اعتناق السلف الصالح لكتاب الله تعالى ، وتعشقهم به ، وشغفهم بتلاوته ليل نهار ، وتعتبر هذه الحلقة أول حلقة من سلسلة : هدي القرآن المجيد وسيعقبها بعد - إن شاء الله تعالى – حلقات متتابعة ، ذوات مواضيع مختلفة هامة جداً .

وإنني لأرجو الله تعالى أن يجعل جميع ما أنشره منار هدي وتِبيان ومشرق إسلام وإيمان ، تنجلي فيه أنوار القرآن العظيم ، وأنوار أحاديث رسول الله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً ، والله ولي التوفيق .

القرآن الكريم كلام الله تعالى على الحقيقة منه بدأ وإليه يعود

قال الله تعالى :{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } الآية ، وقال تعالى :{ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ } .

فالقرآن الكريم صادر { مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ }.

وقال تعالى :{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } فهو قول الله تعالى ، ألقاه على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بواسطة جبريل الأمين .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الها عليه وآله وسلم :[يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتي : أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ، وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله على خلقه] رواه الترمذي والدارمي .

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[عليكم بالقرآن : فاتخذوه إماماً وقائداً ، فإنه كلام رب العالمين الذي هو منه وإليه يعود ، فآمنوا بمتشابهه ، واعتبروا بأمثاله] رواه ابن شاهين في :[السنة] ، وابن مردويه ، وابن لال ، والديلمي ، كما في

[الجامع الصغير] وشرحه ، وروى الدارمي في [سننه] عن عطية رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[ما من كلام أعظم عند الله من كلامه ، وما رد – أي : ما تقرب – العباد إلى الله كلاماً أحب إليه من كلامه] وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعرض نفسه في الموسم على الناس في الموقف فيقول :[ألا هل من رجل يحملني إلى قومه حتى أبلِّغ كلام ربي ، فإن قريشاً منعوني أن أبلِّغ كلام ربي] وعن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى قال : [خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غازياً ، فلقي العدو ، فأخرج المسلمون رجلاً من المشركين وأشرعوا فيه الأسنّة ، فقال الرجل : ارفعوا عني سلاحكم وأسمعوني كلام الله تعالى] رواه البيهقي وقال : مرسل حسن ، وروى الدارمي بإسناده ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : [القرآن أحب إلى الله تعالى من السموات والأرض ومن فيهن] وروى البيهقي بإسناده ، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه لما نزلت :{ الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ } الآية ، قرأها على قريش فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه : كلامك أم كلام صاحبك ؟ فقال : ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ، ولكن كلام الله عز وجل]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :[إن هذا القرآن كلام الله تعالى ، فلا يغرَّنكم ما عطفتموه على أهوائكم] يعني بذلك : ابتغوا هدي القرآن الكريم ، ولا تميلوا به إلى أهوائكم المنحرفة ، كما تفسره رواية الإمام أحمد في كتاب [الزهد] بسنده عن عمر رضي الله عنه أنه قال :

[إن هذا القرآن كلام الله عز وجل ، فضعوه على مواضعه ، ولا تتبعوا فيه أهوائكم] ، وروى البيهقي بإسناده ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : [لو أن قلوبنا طهُرت ما شبعت من كلام ربنا ، وإني أكره أن يأتي علي يوم لا أنظر فيه في المصحف] ، وروى الطبراني ، عن الحكم بن عمير رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

[تبرَّك بالقرآن ، فهو كلام الله تعالى] كما في[الجامع الصغير]و[الفتح]

وروى محمد بن نصر في [قيام الليل] عن خباب بن الأرت رضي الله عنه ، أنه كان يخطب نفسه فيقول :[يا هنتاه تقرب إلى الله تعالى ما استطعت ، فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه]

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنكم لا ترجعون إلى الله تعالى – أي : لا تتقربون إلى الله تعالى – بشيء أفضل مما خرج منه] أي : بدأ منه – يعني القرآن - .

قال الحافظ المنذري : رواه الحاكم وصححه ، ورواه أبو داود في :

[مراسيله] عن جبير بن نفير اهـ .

عظمة الكلام الإلهي بالوحي وهيبة الملائكة عليهم السلام :

قال الله تعالى :{ حم عسق كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } ففي هذه الآيات الكريمة ، يخبر سبحانه عن عظمة صدور الوحي من لدُنه ، وأنه سبحانه هو العزيز الذي ليس كمثله شيء ، وأنه الحكيم في وحيه إلى رسله ، فقد تكفل وحيه إلى رسله بمصالح العباد وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

ثم يخبر سبحانه بقوله :{ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } أي : إن جميع ذلك له مِلكاً ومُلكاً : فهو سبحانه له الخلق وله الأمر ، فلا مالك لذلك غيره ، ولا مَلِك في ذلك غيره ، فهو المدبر والمتصرف في ملكه بحكمته ، { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } الذي لا يُغالب ولا يقارَب في قوته وقدرته ، بل هو الغالب على أمره ، ثم يخبر سبحانه بقوله :{ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ } يخبر بذلك عن تأثر السموات العلى ورهبتها من سلطان الأمر الإلهي النازل من فوقهن ، حتى إنها مع عِظم جرمها ومدى سعتها تكاد تنشق : خشية ورهبة من عظمة الوحي وهيبته .

وقد أخبر سبحانه عن خشية الملائكة وهيبتها من سلطان الوحي والكلام الإلهي فقال :{ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } .

وجاء البيان عن هذه الآية الكريمة وما فيها من الخبر العظيم عن ذلك الأمر العظيم – جاء ذلك البيان ، من الصادق الأمين ، أشرف ولد عدنان ، الذي علمه الله تعالى القرآن ، وعلمه البيان عن القرآن ، حيث قال سبحانه :

{ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ثم إن علينا بيانه } أي : علينا أن نبين لك هذا القرآن ، وقد بين الله تعالى له ذلك وقال له :

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } الآية ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم في بيان معاني قوله تعالى :{ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } الآية ، كما رواه البخاري عند تفسير هذه الآية ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :(إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فزِّع – أي زال الفزع – عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع ، هكذا : بعضه فوق بعض) – ووصف سفيان بيده فحرفها – أي : أمالها – وبدد – أي : فرق – بين أصابعه – (فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على يد الساحر أو الكاهن) قال (فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها – أي : الكلمة التي سمعها – وربما

ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء)[1] ، ومن هنا قال ابن مسعود رضي الله عنه :(إذا تكلم الله تعالى بالوحي وسمع أهل السموات كلامه سبحانه أرعدوا من الهيبة ، حتى يلحقهم مثل الغشي) ، ومن المعلوم أن أول من يبلغه الأمر الذي يوحيه الله تعالى ، وأول من يسمع ذلك هم حملة العرش ، فتأخذهم الخشعة والرهبة ، ثم الذين يلونهم ، كما دل عليه حديث مسلم في

(صحيحه) وأحمد في :(مسنده) واللفظ له ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً في نفر من أصحابه – قال عبد الرزاق : من الأنصار – فرمي بنجم فاستنار .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية]؟ قالوا : كنا نقول : يولد عظيم أو يموت عظيم .

قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكن غُلظت – أي : أكثرت – حين بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكنّ ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش – لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء فتخطف الجن السمع فيُرمَون – أي : بالشهب – فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقذِفون فيه ويزيدون] فتبين مما سبق أن رب العزة إذا تكلم بالوحي وسمعت الملائكة ذلك أخذتهم الخشية واعترتهم الغشية ، حتى ينجلي عنهم ذلك ، وورد أيضاً أنهم إذا سمعوا ذلك صُعقوا وخروا لله تعالى سجداً ، فقد روى الطبراني ، وابن مردويه واللفظ له ، عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

[1] وقد روى هذا الحديث أبو داود والترمذي وابن ماجه أيضاً .

[إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة – أو قال : رعدة – شديدة من خوف الله تعالى ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صُعقوا وخَرُّوا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام ، فيكلمه الله من وحيه مما أراد ، فيمضي به جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون مثل ما قال جبريل . فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض][٢]

قال الحافظ في : [الفتح] : وقد روى ابن مردويه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه رفعه :[إذا تكلم الله تعالى بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، فيفزعون ويرون أنه من أمر الساعة] وقرأ :{ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } الآية[٣] .

حفظ الله تعالى لهذا القرآن الكريم

إنَّ من الواجب على العاقل أن يعتقد أنَّ الله تعالى حفظ هذا القرآن الكريم بأنواع من الحفظ ، وقد ثبت ذلك بالأدلة القطعية ، فقد حفظ محله ولوح كتابته في الملأ الأعلى ، وحفظ طريق نزوله ووحيه إلى رسوله الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وحفظ نصوصه وكلماته وحروفه من الزيادة والنقصان والتبديل ، وحفظ معانيه من التحريف ، وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ، ويحفظ معانيه من التحريف والتغيير ، وتكفل سبحانه باستمرارهم وبقائهم إلى يوم الدين .

وإليك تفاصيل ذلك كله : حفظ الله تعالى لوح كتابته وصدف جوهره

---

[٢] قال ابن كثير بعدما أورد هذا الحديث : وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة . الخ ، وعزاه الحافظ ابن حجر في :[الفتح] إلى الطبراني .

[٣] قال في :[الفتح] وأصله عند أبي داود وغيره ، وعلقه المصنف – البخاري – مووفاً ، ويأتي في كتاب التوحيد . قال الخطابي : الصلصلة : صوت الحديد إذا تحرك وتداخل

قال الله تعالى :{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ }

فلقد وصف الله تعالى محل هذا القرآن الكريم ولوح كتابته الذي هو في الملأ الأعلى – وصف ذلك بأنه محفوظ من أن تصل إليه الشياطين ، أو تتلاعب فيه ، وفي هذا إشارة إلى أن ما فيه فهو محفوظ من باب أولى وأحق ، فإنّ حفظ صدفة الجواهر يراد منه حفظ ما في الصدفة من الجواهر ، وإنَّ حفظ اللوح يراد منه من باب أولى حفظ ما لاح وكتب في اللوح المحفوظ ، ويكفيك دليلاً بهذه الآية الكريمة على حفظ الله تعالى لهذا القرآن في طرق تنزلاته بالوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى حفظ الله تعالى لنصوص كلماته وحروفه ، فإن الله تعالى الحكيم العليم ، الذي حفظ لوح هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى : حاشاه بمقتضى حكمته أن يتخلى عن حفظه له في طريق نزوله ، وبعد نزوله إلى هذا العالم ، ويعرضه للضياع والتلاعب فيه ، والزيادة والنقصان ، والتحريف والتبديل ، فكفالته سبحانه بحفظ لوحه وحفظ كلماته ثمَّة في الملأ الأعلى : دليل على كفالته بحفظه له أيضاً في الملأ الأدنى .

ولذلك أعلن الله تعالى كفالته بحفظ هذا القرآن الكريم الخاصة به دون سائر الكتب الإلهية ، تلك الكفالة الدائمة الباقية حيث قال سبحانه :

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } وفي تقديم كلمة { له } على متعلقها : دليل التخصيص بالحفظ لهذا القرآن دون ما سواه من الكتب الإلهية – كما سنوضح ذلك فيما يأتي إن شاء الله تعالى ، وقال تعالى :

{ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ } فقد أخبر سبحانه عن عظيم شأن هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى ، وأنه في مقام الإجلال والإعظام والإكبار ، مقام { لدينا } كما أخبر سبحانه .

حفظ الله تعالى كتابه العزيز وصيانته من التلاعب فيه

إن الله تعالى أنزل هذا القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الصادق الأمين ، بواسطة الروح الأمين جبريل عليه السلام ، وقد حفظ سبحانه طريق نزوله من تلاعب الشياطين ومشاغبتهم ، فملأ السماء

حرساً شديداً من الملائكة الكرام الأقوياء العظام ، وشُهُباً كبيرة كثيرة محرقة ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في سورة الجن حيث قال سبحانه مخبراً عن الجن :{ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ } أي : كان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبدء نزول القرآن الكريم عليه { فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ } أي : بعد ما بُعث { يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا } فنزل القرآن العظيم من حضرة رب العزة على قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصوناً محفوظاً ، وإن الذي نزل به هو الروح الأمين في جمع حافل من الملائكة يحفونه ويحرسونه ، والمنزل عليه هو الصادق الأمين ، إمام الأنبياء والمرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وطريق نزوله مصون وحصين .

قال تعالى :{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } يعني : أن هذا القرآن محدث عنه ومخبر به في الكتب السابقة كلها .

وقد أبطل الله تعالى دعوى من ادعى أن هذا القرآن هو من باب السحريات أو الكهانات ، وأثبت أنه كلامه ، أنزله على رسوله الحق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، بواسطة الروح الأمين :

قال تعالى :{ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } وفي هذه الآية ردود قاطعة مفحمة للخصم لا تحتمل التأويل ، والمعنى : أن هذا القرآن الكريم نزل به الروح الأمين ، ومعه طائفة من ملائكة الله تعالى المكرمين { وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ } يعني : أنه ليس من شأن الشياطين أن تنزل بهذا القرآن الكريم ، ولا من سجيتهم ، لأنهم شاطنون أي : بعيدون عن كل خير وبر ، وعن كل كمال وفضيلة ، بل إن شأنهم وشاكلتهم كل فساد وشر ، وقبيحة ورذيلة ، هذا طبعهم ، وهذا وضعهم ، وهذا وصفهم ، فكيف يتصور لدى العقول أن تنزل الشياطين ، التي من شأنها وطبعها : السوء والشر ، والأذى والضر ، كيف تنزل بهذا القرآن الكريم الجامع لكل خير وبر ، وكل كمال وجمال ، وإحسان وإفضال ، وآداب فاضلة وأخلاق عالية – فإن ذينك لا يلتقيان ، ولا يتناسبان ، ولا يجتمعان ، بل هما ضدان ونقيضان ، وإنما

المناسب لهذا القرآن الكريم أن ينزل به الروح الأمين في حفلٍ من الملائكة المكرمين عليهم السلام أجمعين .

ثم كيف يتصور لدى العقول أن تنزل الشياطين بهذا القرآن الكريم في حين :{ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } أي : مطرودون وممنوعون عن الاستماع إليه من السموات ولو بالاستراق ، فإن حرس الملائكة وشهب النيران تترصدهم ، فأنى لهم أن يتلقوه تاماً ويتنزَّلوا به كاملاً ؟!

ثم إنه كيف يتصور لدى العقول أن تنزل به الشياطين ، في حين أنهم عاجزون عن تحمله وتأديته ، فإنهم لا قوة ولا طاقة لهم بذلك :

{ وما يستطيعون } فإن تحمل ذلك وتلقيه ، ثم إلقاءه وتأديته يحتاج ذلك إلى قوة قوية من عند الله تعالى ، وتأييد بروح من الله تعالى ، لأن فيه المعارف العلوية والمعارف القدسية ، والعلوم السنية ، والحكم السامية ، بحيث إن طائفة من تلك الآيات الكريمة لو أنزلت على صم الجبال الشامخات لتشققت وتصدعت ، قال تعالى :{ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}

وقال تعالى :{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } وروى الإمام أحمد ، والحاكم وغيرهما ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها :[أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جِرانها – وهو باطن العنق – فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه] وتلت رضي الله عنها :

{ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا } وفي :[الصحيحين] عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : [ولقد رأيته صلى الله عليه وآله وسم ، ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً]

وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه :[أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – أي : القرآن – وفخذه على فخذي ، فكادت ترض فخذي] الحديث كما في البخاري وغيره .

فلا يقوى لنزول القرآن وتلقيه وتحمله إلا هذا الرسول الأعظم ، والحبيب الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي أمده الله تعالى وأعده، وقواه وأعطاه ، ثم إن الله تعالى رد تلك الدعاوي الباطلة ، والافتراءات الضالة بوجه آخر ، بين فيه وجوه المناسبة بين الشياطين وبين من تتنزل عليه ، فقال تعالى :{ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } وفي هذا اللون من الرد : إفحام للمفترين ، وخصم قاطع للجاحدين المنكرين ، وإلقامهم حجر الخذلان ، وفيه الحجج الساطعة ، و البينات القاطعة على قضية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، تنزل عليه ملائكة الله تعالى ، لا يحتمل أمره غير ذلك .

ففي الوجه الأول من الرد : بيان شرف النازل بهذا القرآن الكريم وقداسته وأمانته وأنه جبريل الأمين قطعاً ، وأنه من المستحيل أن تتدخل الشياطين في ذلك ، وأما الوجه الثاني من الرد : ففيه بيان شرف المنزل عليه وطهارته ، ونقائه وعصمته وأمانته ، وبيان إحالة قرب الشياطين حوله ، أو نيلها منه ، أو تنزلها عليه ، لأنه لا مناسبة في ذلك أصلاً – ومن المقرر أن المناسبة هي أساس في الاجتماع والانسجام ، وبيان ذلك :

أن الشياطين ذووا نفوس شريرة ، وطبائع فاسدة قبيحة ، لا مناسبة بينها وبين نفسية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، تلك النفسية الطيبة الزكية ، التقية النقية ، المتصفة بصفات الفضل والكمال ، وخصال المجد والنوال ، ومكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال ، فأي مناسبة بينه وبين الشياطين حتى تنزل عليه ، فإن الطيور على أشكالها تقع ، والأرواح عند أشباهها تضع ، فالشياطين : أفاكون كذابون فيما يقولون ، وآثمون فاجرون خائنون فيما يعملون ويعاملون .

وأما سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو ليس بأفَّاك ولا أثيم ، بل هو الصادق الأمين في جميع أفعاله وأعماله ، باعتراف أحبابه وأعدائه ، فإنهم كلهم يعلمون صدقه وأمانته ، وعفته وحصانته ، فلا مناسبة قطعاً بينه وبين الشياطين ، وإنما ثبتت مناسبته وحقت مع ملائكة الله تعالى الأمناء الأتقياء الأصفياء ، فهم يتنزلون عليه بأوامر الله تعالى ووحيه ،

وقائدهم ورئيسهم جبريل عليه السلام ، فهو الذي نزل بالقرآن من حضرة الملك الديان :{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ } يا أيها الأمين الصادق صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد تقرر لدى العلماء والعرفاء : أن المناسبة هي علة الضم والجمع ، فلا ينضم شيء إلى شيء ، ولا يجتمع شيء إلى شيء إلا بمناسبة بينهما .

حفظ الله تعالى لهذا القرآن العظيم

من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان أبد الآبدين

وأما حفظ الله تعالى لهذا القرآن الكريم من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان فإنه ثابت قطعاً بنص قوله تعالى :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } فأخبر سبحانه في هذه الآية عن أمرين عظيمين :

الأول : أنه سبحانه هو الذي نزل هذا الذكر – أي : القرآن الكريم – لا غيره ، يعني أن هذ القرآن هو من عند الله تعالى قطعاً لا من عند غير الله تعالى ، لأن غير الله تعالى لا يقدر على الإتيان به ، ولا يستطيع أن يأتي بمثله : لا نصاً ولا إعجازاً ، ولا إحكاماً لآياته ، ولا أحكاماً لشريعته ، ولا إخباراً عن المغيبات ، ولا إحاطة ببعض تلك العلوم والمعارف التي جاء بها في كتابه ، الثاني : أنه سبحانه الذي أنزل هذا القرآن هو تكفل أن يحفظه من التلاعب ، والزيادة والنقصان ، فكما يجب الإيمان قطعاً بأن هذا القرآن أنزله الله تعالى ، يجب الإيمان قطعاً بأن الله هو حافظ لهذا القرآن قطعاً – وهذا من خصائص القرآن الكريم ، فإنه سبحانه لم يتكفل بحفظ التوراة والإنجيل ولا الزبور وغيرها ، بل وكل حفظها للربانيين والأحبار ، قال تعالى :{ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } – أي : يحكمون بذلك –

{ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } الآية .

فلقد استحفظهم الله تعالى إياها ، فما استطاعوا أن يحفظوها من الزيادة والنقصان والتحريف ، أما هذا القرآن العظيم فقد تولى الله تعالى حفظه حيث قال :{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } فلم ينله تبديل ولا

تحريف ، ولا زيادة ولا نقص ، ولن يناله ذلك أبداً ، لأن الله تعالى الحفيظ العليم هو بنفسه تولى حفظه ، وشتان بين حفظ الخالق وحفظ المخلوق .

ومن ثمَّ قال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}

ومن هذه الآيات التي ذكرناها يتضح للعاقل جلياً أن هذا القرآن الكريم هو مصون عن عبث العابثين ، وتلاعب المتلاعبين ، محفوظ من النقص والزيادة والتبديل والتغيير – وهذا أمر يجب الإيمان به جزماً ، والاعتقاد به قطعاً ، وذلك لأمور متعددة :

1 – لو جرى على هذا القرآن تبديل أو تغيير ، أو زيادة أو نقص : لما صح الخبر في قوله تعالى :{ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } ولما صدق الله تعالى وعده بالحفظ لهذا القرآن العظيم ، وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،

فإن الله تعالى لا يخلف وعده ، وإنَّ خبره صادق محتم الوقوع

{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } { وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ } فإنه سبحانه لا يكذب خبره ، ولا يتخلف وعده ، ولا تنقض كفالته .

فإن في قوله تعالى :{ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } كفالة من الله تعالى موثقة ، وخبراً مؤكداً ، ووعداً محتماً ، يعرف ذلك من تدبر . قال تعالى :

{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ }

2 – أنه لو جرى على هذا القرآن الكريم تبديل أو زيادة أو نقص : لكان ذلك منافياً ومعارضاً لقوله تعالى :{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } فإن الله تعالى أخبر أن الباطل لا يأتي هذا القرآن ، ولا يتسرب إليه : لا في نصوصه ولا في معانيه ، فهو لا يعارض ولا يناقض ، ولا يزاد فيه ولا ينقص منه ، لأن الزيادة فيه باطلة ليست منه ، والنقص منه هو إبطال لما هو منه حقاً دالاً على حق ، فقوله تعالى :

{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ } دليل صيانته وحفظه من التلاعب والزيادة والنقص – وهذا الخبر القرآني لا يتخلف ولا يتبدل ، فإن

الباطل لا يمكن أن يتسرب إلى هذا القرآن الكريم قطعاً ، لا في نصوص كلماته بزيادة أو نقص ، ولا في معانيه بتكذيب أو نقض .

3 – لو جرى على هذا القرآن الكريم تحريف أو زيادة أو نقص : لكان ذلك منافياً ومخالفاً لقوله تعالى :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ }

الآية ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله :

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } فأكبر شاهدٍ : شهادته أكبر شهادةٍ لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، هو الله العلي الكبير ، الذي أعلن شهادته بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآيات التكوينية السماوية والأرضية ، والشجرية والمائية ، والطعام والشراب – وغير ذلك ، وهي المعجزات التي أجراها الله تعالى على يديه صلى الله عليه وآله وسلم شهادةٌ له بأنه رسول الله تعالى صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن الآيات السماوية انشقاق القمر وإمطار السحب ونحو ذلك

كما أنه سبحانه أعلم عباده بشهادته أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في آياته التدوينية القرآنية .

قال تعالى :{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ } فهذا معنى قوله تعالى :{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } ثم قال سبحانه :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } أي : قل لهم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : { وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ } أيها الناس – أي : الذين بلغتكم وشافهتكم ، { وَمَنْ بَلَغَ } أي : وأنذر به كل من بلغه هذا القرآن الكريم إلى يوم القيامة ، فقد أمره الله تعالى أن ينذر به أول هذه الأمة ووسطها وآخرها على حد سواء ، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وآله وسلم :[من بلغه القرآن فكأنما شافهته به] ثم قرأ :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } رواه ابن مردويه، وأبو نعيم ، والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى ابن أبي شيبة ، وابن منذر وغيرهما ، نحو ذلك عن محمد بن كعب القرظي ، كما في :[تفسير] ابن كثير ، والقرطبي

والآلوسي ، فقد جعل الله تعالى القرآن الكريم حجة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع العباد ، وبلاغاً عنه لكافة العباد إلى يوم المعاد ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم صاحب الرسالة العامة للثقلين إلى يوم القيامة ، ولذلك اقتضت الحكمة الإلهية أن يبقى كتابه الذي أنزله الله تعالى عليه – يبقى محفوظاً إلى يوم الدين ، لتقوم الحجة على العباد ، وليهتدوا به إلى سبيل الرشاد ، ويبلغه آخر هذه الأمة كما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم لأولها ، فلو جاز أن يجري عليه تحريف أو زيادة أو نقص لما تحقق إنذاره صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن لمن يأتي من بعده ، كما أنذر الذين في عصره ، في حين أن الآية تخبر بإنذاره صلى الله عليه وآله وسلم لمن في عصره ومن بعده على حد سواء .

4 - لو جرى على هذا القرآن الكريم تحريف أو زيادة أو نقص : لأدى ذلك إلى ذهاب الثقة به ، ولأدى ذلك إلى عدم الإيمان الجازم بما جاء به ، وكيف لا يوثق به ولا يقطع جزماً بما جاء به ، مع أن الله تعالى بين لعباده أن هذا الكتاب الذي هو بجميع آياته موثوق به ، ومقطوع بحقيقته ، لا يتطرق الباطل ولا الخلل إلى جانب من جوانبه ، قال تعالى :{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } فإن فحوى هذه الآية ونصها يناديان العباد ويخبرانهم : أن الثقة كل الثقة ، واليقين كل اليقين ، والحق كل الحق : في هذا الكتاب العزيز ، الذي لا يجد الباطل والوهم ، والكذب والافتراء ، والتلاعب وما شابه ذلك – لا يجد ذلك إلى الكتاب سبيلاً أصلاً

فلو جرى عليه تحريف أو زيادة أو نقص لذهبت الثقة واليقين به :

أما ذهاب الثقة بالمزيد فالأمر بيِّن ، وأما ذهاب الثقة بالمزيد عليه فإن العاقل يقول : لعل في هذا الأصل زيادة أيضاً ، فما يدرينا أنها كلها أصل ؟!

وأما ذهاب الثقة به حالة النقص : فذلك لأن بين الأصل المنقوص عنه والشيء الناقص منه ارتباطاً في المعاني والأحكام والأخبار وغير ذلك ، ولو جرى عليه النقص لأدى ذلك إلى عدم الثقة بالناقص والمنقوص منه ، فلا يكون أحد من المسلمين على ثقة بدينه ، لاحتمال نسخ بعض الصلوات أو تغيير أوقاتها أو الزيادة عليها ، أو نسخ الزكاة أو مقاديرها ، أو نسخ

الصيام أو الزيادة فيه ، أو بتبديله بغيره ،أو نسخ الحج ، أو تحليل الخمر والميسر ونحوهما من المحرمات ، أو تحريم بعض أنواع من الحلال ، وبذلك لا يكون أحد من الناس على عبادة إلا وهو على شك منها ، ولا يقدم على حلال ولا يحجم عن حرام إلا وهو متشكك ، فأين الإيمان والجزم بشرع الله تعالى ! نعوذ بالله تعالى – وحينئذ لا يمكن الإيمان الجازم به والحالة هذه ، وحينئذ لابد من نبي يبعثه الله تعالى يبين للناس ما نقص منه أو زيد فيه ، ولا نبي بعد نبي الله تعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين ، قال تعالى :{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }

فهو سبحانه يعلم بعلمه القديم الذي لا أول له أن ختم النبوات لا يليق به إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل :[وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدي] صلى الله عليه وآله وسلم ، ولذلك نرى أن الكتب السماوية السابقة ، لما كانت في معرض التحريف ، والزيادة والنقص : اقتضت حكمة الله تعالى أن يتابع ويوالي بين بعثة الأنبياء ، بحيث ما يذهب نبي إلا يبعث الله تعالى نبياً آخر ، وربما اجتمع في زمان واحد عدة من الأنبياء ، قال تعالى :{ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ } وذلك لأجل أن يبينوا للناس ما نُزّل إليهم من ربهم ، ويبعدونهم عن الشك في دينهم ، بحيث يكونون على يقين في كتابهم وشريعتهم ، وبذلك تقوم حجة الله تعالى على العباد :{ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } .

وأما الكتاب الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله تعالى فهو باق إلى يوم القيامة ، محفوظ مصون عن التغيير والتحريف ، والزيادة والنقص ، فرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم باقية .

فها هنا أمران عظيمان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما :

الأول : عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم إلى جميع الثقلين إلى يوم الدين .

الثاني : حفظ الله تعالى كتابه النازل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وإبقاؤه مصوناً عن التلاعب فيه إلى يوم الدين .

فالطعن في هذين الأمرين هو طعن في الأمر الآخر ، لأنهما مرتبطان ببعضهما ، وكما أن عموم رسالته صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بالنصوص القطعية نحو : قوله تعالى :{ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا }الآية ، وقوله تعالى :{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } الآية ، وقوله تعالى : { لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } ،وقوله تعالى :

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } ، فكذلك أيضاً حِفظُ كتابه النازل عليه صلى الله عليه وآله وسلم ثابت بالأدلة القطعية المفحمة للعقول كما تقدم ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى :{ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } فقد بين سبحانه في هذه الآية أن وظيفة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبدِ الله ورسوله أن ينذر العالمين إلى يوم الدين ، دون أن يقتصر على أهل زمانه فحسب ، ولابد لهذا الخبر أن يتحقق وقوعه ، لأنه من الله تعالى :{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا } فكيف كان ذلك ؟ هل تحقق أم لا ؟ نعم كان ذلك حقاً ، كما بين الله تعالى في قوله :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } أي : وأنذر كل من بلغه هذا القرآن إلى يوم الدين ، لأن هذا القرآن باق كما هو إلى يوم الدين بحفظ رب العالمين .

5 – لقد ذكر الله تعالى بالمدح والتعظيم التوراة ، ثم ذكر الإنجيل ، ثم ذكر هذا القرآن الكريم ، وبين منزلته من بين الكتب الإلهية ، ورفعة رتبته على جميع الكتب ، وأنه المهيمن على الكتب السماوية التي نزلت قبله :

قال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } الآية ، ثم قال تعالى :

{ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ } الآية ، ثم قال تعالى :{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ } .

فقد أخبر سبحانه عن رتبة هذا الكتاب العزيز بالنسبة لجميع الكتب قبله بأنه مصدق لما جاءت به من عند الله تعالى ، وأنَّه المهيمن على جميع الكتب

قبله ، قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى في : [صحيحه] : باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : المهيمن : الأمين ، والقرآن أمين على كلِّ كتاب قبله . اهـ .

فهذا القرآن الكريم هو الأمين الحكم على كل كتاب قبله : يُحِقُّ ما فيها من حق ، ويبطل ما حُرِّف منها وأدخِل عليها من باطل .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : المهيمن هو الشاهد .

وفي رواية عنه فسَّر المهيمن هنا بمعنى الحاكم – وكلها متقاربة ومتلازمة ، فهذا القرآن الكريم هو : الأمين على الكتب قبله ، والشاهد ، والحاكم .

فإذا كان أمر القرآن وموقفه مع الكتب قبله هو أنه الأمين عليها ، والحاكم على ما فيها ، فلا يمكن أن يجري عليه تحريف في كلمة ، أو زيادة أو نقص ، لأنه حينئذ يحتاج إلى أمين عليه وحَكَم آخر يحكم فيه – هذا من وجه

ومن وجه آخر : فإذا جاز على هذا القرآن تحريف كلمة وزيادة أو نقصان فيه ، فإن الله تعالى يكون قد نَصَبَ على كتبه السماوية السابقة أميناً غير مضمون ، وحَكَماً غير مأمون – تعالى الله الحكيم العليم عن ذلك علواً كبيراً بل إن في جعل الله تعالى هذا القرآن الكريم أميناً وحَكماً على الكتب قبله ، شهادة منه سبحانه بضمانة وأمانة هذا القرآن ، وحفظه من التلاعب والزيادة والنقص ، ولذلك حُقَّ له أن يكون مهيمناً على الكتب السماوية

قبله ، حاكماً عليها وشاهداً وأميناً ، يُحق ما فيها من حق ، ويُبطل ما حُرِّف منها وزيد فيها من باطل .

6 – إن هذا القرآن الكريم قد خصه الله تعالى من بين سائر الكتب الإلهية بالإعجاز ، فجميع الكتب الإلهية هي كتب دعوة العباد إلى الله تعالى ، وبيان ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأما هذا القرآن فهو كتاب دعوةٍ إلى الله تعالى وبيانٍ ، وكتاب إعجازٍ وبرهانٍ ، فهو كتاب دعوة وحجة معاً لا ينفكان : دعوة إلى الله تعالى ، وبيان ما فيه سعادة الدنيا والدين ، وحجةٍ بإعجازه وبرهانه المبين – فدعوته وبيانه قائمان على الإعجاز والبرهان لا ينفك عن الدعوة والبيان ، ولذلك كانت حجة القرآن الكريم ومعجزته هي

أكبر المعجزات ، وأقوى الحجج – هي أكبر المعجزات التي شهد الله تعالى بها بصدق نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي أكبر معجزة أيده الله تعالى بها ، وأبقاها حجة على العالمين كلِّهم إلى يوم الدين ، كما جاء في :[صحيح] البخاري وغيره ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة]

قال المحققون من العلماء : المراد من هذا الحديث : أنّ معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم قد انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يُشاهدها إلا من حضرها ، وأما معجزة القرآن فهي باقية مستمرة إلى يوم القيامة ، وخَرْقه للعادة في أسلوبه وبلاغته ، وفي إخباره بالمغيبات مستمر ، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به القرآن الكريم أنه سيكون .

فخرقه للعادة بتلك الوجوه المتعددة يدل على صحة دعواه ، وصدق الذي

أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه ، وأنه حقاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كما أنّ المعجزات الماضية كانت حسيّة تُشاهد بالأبصار : كناقة صالح ، وعصا موسى ، وإحياء الموتى على يد عيسى عليهم الصلاة والسلام ، وأما معجزة القرآن الكريم فإنها تُشاهد بالبصر والبصيرة ، فيكون من يتبعه صلى الله عليه وآله وسلم أكثر ، لأن الذي يُشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مُشاهده ، وأما الذي يشاهد بعين البصيرة ونور العقل فهو باقٍ ، يشاهده من جاء بعده إلى يوم الدين ، فإنه كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ، ولا بسورة مثله ، يشهد بذلك كل ذي عقل ورويَّة .

وبناء على ذلك فلا يمكن أن يُزاد فيه أو أن يُنقص ، لأنّ المزيد فيه ليس بمعجز ، والناقص منه يُخِلُّ بإعجاز الباقي بتركيبه وأسلوبه ومناسبته ، وبذلك يخرج عن كونه معجزاً ، وهذا مستحيل ، لأن صفة الإعجاز لا تفارقه ، لأن الإعجاز هو جعل الله تعالى إياه معجزاً ، فكما أنه تعالى جعل القرآن عربياً قال تعالى :{ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } ولا يمكن تجريده عن العربية ، كذلك جَعل القرآن معجزاً ، فلا يمكن تجريده عن

صفة الإعجاز ، فلا يُتصور القرآن بحال من الأحوال غير معجز ، كما لا يتصور بحال من الأحوال غير عربي – وليس هذا الجعل تخليقياً بل هو جعل التقدير ، كما نبه عليه المحققون ، فإن القرآن غير مخلوق أصلاً ولا وصفاً ، على أنَّه لو أمكن أن يجري على القرآن زيادة أو نقص ، أو تحريف أو تبديل : لكانت هذه المعجزة الكبرى التي أبقاها الله تعالى حجة إلى يوم الدين ، مصدقةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العباد كلهم ، وبينة على صدقه صلى الله عليه وآله وسلم – لكانت تلك الحجة غير موثوقة ، ولا مضمونة ، ولا مصونة ، بل يدخلها الدخيل ، وتتسرب إليها الأباطيل والأضاليل ، فأيُّ حجة وبينة له صلى الله عليه وآله وسلم باقية بعد حينئذ بالقرآن الكريم ؟ تعالى الله عن ذلك !.

فهذه الوجوه من الأدلة كلها تحتِّم وتوجب القطع أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى عن التحريف والتبديل والتلاعب .

7 – إن القرآن الكريم هو الأصل الأصيل ، والركن الركين في الشريعة المحمدية ، المشتملة على القضايا الإيمانية ، والأحكام العملية والقولية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وقد جاءت السنة النبوية المحمدية المشتملة على أقواله وأفعاله صلى الله عليه وآله وسلم وتقريراته بياناً للقضايا الإيمانية ، والأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن قال تعالى :

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }

وقد بيّن صلى الله عليه وآله وسلم ما جاء في القرآن الكريم من العقائد الإيمانية ، وبيّن ما جاء فيه أيضاً من الأحكام : الأوامر والمناهي ، والحلال والحرام ، إلى ما وراء ذلك ، فلو جاز أن يجري على القرآن الكريم تحريف أو تبديل ، أو زيادة أو نقص ، لأدى ذلك إلى وقوع الخلل والعبث في الشرع المحمدي الواجب اتباعه ، والعمل به إلى يوم الدين ، ولو جاز أن يجري على القرآن شيء من التحريف و التبديل لأدى ذلك إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال ، والنقص في الأوامر والمناهي التي جاءت في القرآن الكريم ، ويخرج حينئذ عن كونه شرعاً حكيماً موثوقاً يجب التمسك به إلى يوم الدين ، وهذا محال شرعاً وواقعاً وعقلاً ، فإننا نرى أن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر وأوصى بالتمسك بالكتاب والسنة إلى يوم الدين ، وأمر العباد بإحلال الحلال ، وتحريم الحرام فيهما ، دون ن يُحِلُّوا أو يُحرِّموا من تلقاء أنفسهم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله تعالى : أحلوا حلاله ، وحرِّموا حرامه].

وروى الطبراني بإسناد جيد ، عن أبي شُريح الخزاعي رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[أليس تشهدون أن لا إله إلا الهس وأني رسول الله]؟ قالوا : بلى ، قال :[إنّ هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً]

وروى الطبراني بسند رواته ثقات ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

[أطيعوني ما كنت بين أظهركم ، وعليكم بكتاب الله : أحلوا حلاله وحرموا حرامه]، فلو جاز أن يجري على القرآن تحريف في كلمة أو زيادة أو نقص لأدى ذلك إلى وقوع الخلل في هذه الشريعة المحمدية ، التي كلف الله تعالى العباد أن يتمسكوا بها إلى يوم القيامة ، فلا بد وأنّ هذا القرآن محفوظ ، وأنّ الشريعة المحمدية محفوظة باقية بتمامها إلى يوم الدين ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم :[تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك] رواه ابن أبي عاصم في كتاب :[السنة] بإسناد حسن ، ورواه غيره أيضاً بأسانيد متعددة .

الأمر الإلهي ثم النبوي بتلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى :{ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ } الآية .

وقال تعالى :{ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ }

فقد أمر الله تعالى بتلاوة القرآن الكريم ، والتلاوة في أصل معناها اللغوي هي المتابعة ، ومن ذلك قوله تعالى :{ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا }

أي : تبعها ، فهنالك تلاوة باللسان وهي : قراءة كلمات القرآن وحروفه ، وقد جاءت الأحاديث في فضلها ، ومن ذلك ما جاء في :[صحيح] الترمذي وغيره :[من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها] الحديث كما سيأتي في محله .

وهناك تلاوة للقرآن بالأعمال والأقوال ، وهي العمل بمقتضى القرآن الكريم : ائتماراً بأمره ، وانتهاء عن نهيه ، وتأدباً بآدابه، وتخلقاً بأخلاقه ، إلى ما وراء ذلك ، فتلاوة القرآن الكريم حق تلاوته تشمل ذلك كله .

وأما الأحاديث النبوية التي جاءت في الأمر بقراءة القرآن الكريم فهي كثيرة ، ومن ذلك ما رواه مسلم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه] الحديث ، وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال : قلت : يا رسول الله أوصني ، فقال :[عليك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله]

قلت : يا رسول الله زدني ، قال :[عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض ، وذخرٌ لك في السماء] رواه ابن حبان في :[صحيحه] .

وروى الدارمي بإسناده ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :[أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يُرفع] قالوا : هذه المصاحف تُرفع فكيف بما في صدور الرجال ؟ فقال :[يُسرى عليه ليلاً فيصبحون منه فقراء ، وينسون قول : لا إله إلا الله ، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم ، وذلك حين يقع عليهم القول]

وروى ابن ماجه والحاكم والبيهقي :[يدرس الإسلام كما يدرس وشيُ الثوب ، حتى لا يُدرى صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويُسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس : الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله فنحن نقولها] [4]

الأمر بتعاهد القرآن خوف النسيان

[4] انظر [الفتح الكبير]

روى الشيخان والإمام أحمد ، عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال : [تعاهدوا هذ القرآن ، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً] – وفي رواية :[تفصياً] – [من قلوب الرجال من الإبل من عُقلها] والمعنى : أن المؤمن ينبغي له أن يحافظ على تلاوة القرآن الكريم خشية أن يتفلت منه وينساه .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنما مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المعقَّلة : إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهبت]

التحذير من الإعراض عن القرآن الكريم وتعريضه للنسيان

روى الترمذي وصححه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب] ، وروى أبو داود والترمذي وغيرهما ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[عرضت عليّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت عليّ ذنوب أمتي ، فلم أر فيها ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها] وروى أبو داود ، عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه : إلا لقي الله يوم القيامة أجذم]

والأجذم : هو المصاب بداء الجذم ، وهو داء يتقطع به اللحم .

وأكثر العلماء على أنّ نسيان القرآن كله أو بعضه – يعتبر كبيرة كما يدل عليه الوعيد الشديد الوارد في هذا الحديث ، ولكن كما قال الجلال البُلقيني والزركشي وغيرهما : إن ذلك كبيرة إذا كان عن تكاسل وتهاون ، وأما إذا كان النسيان بسبب مرض ، أو كبر سن ، أو نحو ذلك فلا يدخل تحت هذا الحكم . اهـ كما في :[شرح الأذكار] ، وقال الحافظ السيوطي في :

[الإتقان] : نسيان القرآن كبيرة صرح به النووي في :[الروضة] اهـ

واستدل على ذلك بما ورد من الوعيد الشديد في الأحاديث السابقة .

فضل تلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى :{ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } الآية الأولى من هذه الآيات الكريمة تسمى آية القراء كما قال قتادة : كان مطرِّف رحمه الله تعالى إذا قرأ هذه الآية يقول : هذه آية القراء ، فقد أثنى الله تعالى في تلك الآية الكريمة على القراء الذين يتلون الكتاب ويعملون به ، فيصلون وينفقون ويقومون بأوامره سبحانه ، ثم بشّرهم بما وعدهم من الثواب العظيم والنعيم المقيم فقال سبحانه :{ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ } أي : أي : أجورهم في مقابل أعمالهم ، فإنّ الأجر هو ما كان مقابلاً بعمل ، ولكن ليس هذا ثوابهم فحسب ، بل هناك الفضل من الله تعالى بالزيادة ، يزيدهم بها من لدنه ، وهذه الزيادة من فضله لا يعلم قدرها ومقدارها إلا الله ذو الفضل العظيم ، وأعظم الفضل الذي تفضّل به عليهم – وهو أعظم الزيادات في ثوابهم وتكريمهم – أن يكشف لهم الحجاب حتى ينظروا إليه سبحانه ، كما روى مسلم وغيره ، عن صهيب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى أتريدون شيئاً أزيدُكم ؟

فيقولون : يا ربنا ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار .

قال :[فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى] ثم قرأ قول الله تعالى :{ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } الآية – اللهم اجعلنا منهم . آمين

ثم ذكر سبحانه فضل هذا الكتاب العزيز، وفضل الذي أنزل عليه ، وذلك أنّ هذا القرآن هو الحق مصدقاً لما سبقه من الكتب الإلهية النازلة على الرسل صلوات الله تعالى على نبينا وعليهم ، وأنه تعالى بعباده خبير بصير ، فهو يعلم القلب المستعدَّ لنزول هذا القرآن عليه من بين قلوب الرسل ، ألا وهو

قلب السيد الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي أعده الله تعالى وأمدّه ، قال تعالى :{ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ }

ثم أثنى الله تعالى على هذه الأمة المحمدية على رسولها أفضل الصلاة والسلام بأنها المصطفاة من بين الأمم ، المخصوصة بوراثة هذا الكتاب العزيز ، وحقّ لأفضل أمة أن ترث أفضل كتاب عن أفضل رسولٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي هو إمام الأنبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين .

ثم صنفهم سبحانه إلى ثلاثة أصناف بالنسبة لأخذهم بالكتاب وتمسكهم به : فقال تعالى :{ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } وهو التارك لأمر محتم ، أو فاعل لمنهي عنه محرم ، وهؤلاء المخلّطون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً – كما قاله السلف ، ثم قال تعالى :{ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } وهو المؤدي للواجبات – أي : ما بينه وبين الخالق سبحانه ، والواجبات ما بينه وبين المخلوقات ، والتارك للمحرمات كذلك ، ويقال لهؤلاء : أصحاب اليمين ، ويقال لهم : الأبرار عند مقابلتهم بالمقرّبين { وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } وهؤلاء هم الذين قاموا بجميع الأوامر ، وتركوا جميع المناهي ، وسبقوا بفعل الخيرات وهي : النوافل فوق الفرائض ، وهذه الخيرات في الآية الكريمة هي التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جوابه لمعاذ رضي الله عنه حين قال : أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار . فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت] ثم قال له صلى الله عليه وآله وسلم : [ألا أدلك على أبواب الخير] أي : فعل الخيرات وهي النوافل التي إذا فعلتها فتحت لك أبواب الخير الإلهي .

فراح هؤلاء السابقون بالخيرات يتقربون إلى الله تعالى بالنوافل ، فنالوا مقاماً عالياً في القرب قال تعالى :{ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ }

وفي الحديث القدسي :[ما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه] الحديث كما في البخاري .

وتفصيل الكلام على الفرق بين الأصناف الثلاثة ليس هنا موضعه ، بل تجده في كتابنا :[التقرب إلى الله تعالى] .

المواظبة على متابعة الختمات أحب الأعمال إلى الله تعالى

روى الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رجل : يا رسول الله أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى ؟ قال : [الذي يضرب – أي : يبدأ – من أول القرآن إلى آخره : كلما حلّ ارتحل]

والمعنى أنه كلما ختم ختمة شرع في غيرها ، ولذلك استحسن علماء القرآن لمن يختم الختمة أن يتبعها بفاتحة الكتاب وبفاتحة سورة البقرة إلى قوله تعالى :{ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم :

[كلما حلّ ارتحل] ، وفي هذا الحديث الشريف دليل واضح لمن يريد السير والسلوك تقرباً إلى ملك الملوك ، وذلك بأن يتابع تلاوة الختمات ، فإن فيها حلاً وارتحالاً ، وينتج ذلك قرباً واتصالاً ، لأن هذا السير هو السير السريع المنيع ، ولا أسرع منه كما أرشدنا إليه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث .

تلاوة القرآن الكريم أفضل العبادات

روى البيهقي ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن] وروى السّجزي في : [الإبانة] عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :[أفضل العبادة قراءة القرآن] ، وروى الديلمي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن]

وفي رواية المرهبي عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً :[أعبدُ الناس أكثرهم تلاوة للقرآن ، وأفضل العبادة الدعاء][5]

يؤجر القارئ بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها : بفهم أو بغير فهم

[5] انظر ذلك في [الجامع الصغير]

روى الترمذي وغيره ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : { الم }حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف] وفي هذا الحديث دليل على أنّ من قرأ القرآن ولو بغير فهم فله ذلك الأجر المضاعف ، لأنّ أكثر الناس يقرؤون

{ الم } ولا يعرفون معناها ، قال الإمام النووي رضي الله عنه : إعلم أنّ المذهب المختار الصحيح الذي عليه من يُعتمد من العلماء : أن قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار اهـ

قال عبد الله : والدليل على ذلك ما جاء في حديث الترمذي عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[وإنّ فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه]

أهل القرآن هم أهل الله تعالى وخاصته

روى النسائي وابن ماجه ، والحاكم بإسناد حسن ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن لله أهلين من الناس]

قالوا : من هم يا رسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : [أهل القرآن هم أهل الله وخاصته]

أي : فمن أراد أن يكون من أهل الله فعليه بالقرآن ، فهو طريق موصل إلى الله تعالى حقاً ، كما شهد بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، اللهم اجعلنا من أهل القرآن – آمين .

الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق : له أجران][6]

وقد اختلف في المراد بالسفرة هنا ؟ فقال بعض العلماء : هم الكتبة من الملائكة الكرام ، لأن الكتاب يسفر أي : يبين ما يكتب ، فالكتاب سِفر وهم سَفرة ، وقال بعضهم : السفرة هم الملائكة الذين هم حملة اللوح المحفوظ ، قال تعالى :{ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ } وسموا بذلك لأنهم ينقلون الكتب الإلهية المنزلة إلى الأنبياء ، فكأنهم سفرة .

وقال بعضهم : السفرة هم المقربون من الملائكة .

قارئ القرآن يحدث ربه تعالى ويناجيه

عن أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

[إذا أحب أحدكم أن يحدث ربه فليقرأ القرآن][7]

وتسمى سورة الفاتحة سورة المناجاة ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : وهذا – أي : معنى أن القارئ يحدث ربه – من باب الاستعارة بالكناية ، فإن القرآن الكريم هو رسالة من الله تعالى لعباده ، فكأن القارئ يقول : يا ربّ قلت كذا وكذا ، فهو مناجٍ لله تعالى .

من أحبَّ القرآن فقد أحبه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

روى الطبراني بسند رجاله ثقات ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من أحب أن يُحبه الله ورسوله فلينظر : فإن كان يحب القرآن فهو يُحب الله ورسوله] صلى الله عليه وسلم

---

[6] يعني : أن القارئ الذي يقرأ بدون تلعثم ومشقة مع السفرة السابقين ، والذي يقرأ بكلفة ومشقة فله أجران .

[7] رواه الخطيب وصاحب :[الفردوس]

القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخله فهو آمن

روى الدارمي بإسناده ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[اقرؤوا القرآن ، فإنّ الله لا يعذب قلباً وعى القرآن ، إنّ هذا القرآن مأدبة الله تعالى فمن دخل فيه فهو آمن ، ومن أحبّ القرآن فليبشر] أي : فليستبشر .

وروى الحاكم وصححه ، والدارمي أيضاً ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إنّ هذا القرآن مأدبة الله تعالى فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، إنّ هذا القرآن حبل الله والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه ، ولا يزيغ فيُستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد [٨] ، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات ، إني لا أقول { الم } حرف ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف] [٩]

البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ويتسع على أهله

روى الإمام محمد بن نصر المروزي بإسناده ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :[إنّ البيت إذا قرئ فيه القرآن حضرته الملائكة ، وتنكّبت – أي : تباعدت – عنه الشياطين ، واتّسع على أهله ، وكثر خير وقل شره ، وإن البيت إذا لم يقرأ فيه القرآن حضرته الشياطين ، وتنكبت عنه الملائكة ، وضاق على أهله ، وقلّ خيره ، وكثر شره]

وقال : وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه موقوفاً وعن ابن سيرين اهـ ، قلت : وأثر أبي هريرة رضي الله عنه رواه الدارمي .

وروى الدارقطني في : [الأفراد] عن أنس وجابر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أكثروا من تلاوة القرآن في بيوتكم ،

---

[٨] يعني : أن القرآن الكريم مهما ردده القارئ وقرأه وأعاده لا يمله ولا يسأمه بل يجده حلواً جديداً

[٩] انظر :[ترغيب] المنذري

فإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن : يقلُّ خيره ، ويكثر شره ، ويضيق على أهله] [١٠]

البيت الذي يقرأ فيه القرآن يضيء لأهل السماء

روى البيهقي عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [البيت الذي يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض]

وروى أبو نعيم في :[المعرفة] عن أبي جحيفة الجمحي رضي الله عنه رفعه :[إن البيت الذي يُذكر [١١] الله فيه ليُضيء لأهل السماء كما تُضيء النجوم لأهل الأرض] [١٢] ، وروى الحكيم الترمذي ، عن أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما مرفوعاً :[إنّ بيوتات المؤمنين لمصابيح إلى العرش ، يعرفها مقرّبو السموات السبع ، يقولون : هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن][١٣]

وروى أبو نعيم في :[الحلية] عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً :

[كل آية في القرآن درجة في الجنة ، ومصباح في بيوتكم] [١٤]

قراءة القرآن فيها الخير الكثير

روى الإمام مسلم ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن في الصفة فقال : [أيُّكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيق ويأتي بناقتين كوماوين – أي : عظيمتي السنام – من غير إثم ولا قطيعة رحم] ؟ أي : من طريق سهل حلال –

---

[١٠] انظر [الجامع الصغير] و[الفتح الكبير]

[١١] ومن المعلوم كما نص عليه العارفون : أن أفضل الأذكار الإلهية هو القرآن الكريم

[١٢] انظر :[شرح الإحياء]

[١٣] انظر [كنز العمال]

[١٤] انظر [الجامع الصغير] و[الفتح الكبير]

قلنا : يا رسول الله كلُّنا يحب ذلك ، فقال :[أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى فهو خير له من ناقتين ، وثلاث خير له من ثلاث ، وأربع خير له من أربع ، ومن أعدادهنّ من الإبل]

تلاوة القرآن تطّيب القارئ

روى الشيخان واللفظ لمسلم ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن

مثل الأترجّة [15] ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة : لا ريح لها وطعمها حلو ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة : ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة : ليس لها ريح وطعمها مرّ]

تلاوة القرآن الكريم جلاء للقلوب

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء] قيل : يا رسول الله وما جِلاؤها ؟ قال : كثرة ذكر الموت ، وتلاوة القرآن] [16]

تلاوة القرآن الكريم تنفع القارئ ووالديه

روى أبو داود ، عن سهل بن معاذ رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من قرأ القرآن وعمل به : ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه ، فما ظنكم بالذي عمل به] ؟

والمعنى : أنّه إذا كان والدا القارئ يلبسان هذا التاج الوضّاء ، فماذا يعطى القارئ من الأجر ، وماذا يُلبس من تيجان الكرامة ؟ نعم إنّ ثوابه وإكرامه لأعظم من ذلك ، جعلنا الله تعالى منهم – آمين .

---

[15] الأترجة : هي ثمرة جامعة لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون – وهي المعروفة في بلاد الشام باسم : الكبّاد .

[16] رواه البيهقي في :[شعب الإيمان]

خير الناس أقرؤهم

روى الإمام أحمد ، والطبراني ، عن درّة رضي الله عنها ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[خير الناس أقرؤهم ، وأفقههم في دين الله وأتقاهم لله ، وآمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرّحم][١٧]

يقدم الأقرأ على غيره شرعاً

روى الإمام مسلم وغيره ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [يؤّمُ القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى ، فإن كانوا

في القرآن سواء فأعلمهم بالسّنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً ، ولا يؤّمن الرجل في أهله ، ولا في سلطانه ، ولا يُقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه]

وروى البخاري وغيره ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول :[أيّهما أكثر أخذاً للقرآن]؟ فإن أشير إلى أحدهم قدّمه في اللحد . وروى أصحاب السنن ، عن هشام بن عامر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[احفروا وأعمقوا وأوسعوا ، وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد ، وقدّموا أكثرهم قرآناً][١٨]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :[كان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته : كهولاً كانوا أو شبّاناً]

إكرام أهل القرآن من تعظيم شعائر الله تعالى

قال الله تعالى :{ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ }

شعائر الله تعالى هي : معالم دينه وحملة شريعته .

فمعالم الدين : تشمل المصاحف القرآنية ، ومساجد الصلوات ، ومناسك الحج إلى ما وراء ذلك ، **وحملة شريعته** : تشمل العلماء ، والقراء ، وقد استدل الإمام النووي رضي الله عنه بهذه الآية الكريمة على وجوب إكرام

---

[١٧] انظر :[الجامع الصغير] و[الفتح الكبير]
[١٨] انظر [الفتح الكبير]

أهل القرآن ، لأنهم من شعائر الله تعالى ، كما يجب تعظيم العلماء الذين هم حملة دين الله تعالى ، ولا يجوز إيذاؤهم ولا تحقيرهم ، ولا الاستهانة بهم ، فإن إيذائهم والاستهانة بهم علامة على النفاق ، وسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ، وقد نقل الإمام النووي عن الإمامين الكبيرين أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما أنهما قالا : إن لم يكن العلماءُ أولياء الله تعالى فليس لله تعالى وليّ اهـ ، كما نقل أيضاً عن الحافظ ابن عساكر أنه قال : اعلم يا أخي – وفقنا الله تعالى وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته – أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله تعالى في هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب : ابتلاه تعالى قبل موته –

جسماً – بموت القلب { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } وروى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ثلاثة لا يستخفُّ بحقهم إلا منافق : ذو الشيبة في الإسلام ، وذو علم ، وإمام مقسط].

وروى أبو الشيخ عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ثلاثة لا يستخفُّ بحقهم إلا منافق بيّن النفاق : ذو الشيبة في الإسلام ، والإمام المقسط ، ومعلم الخير] .

إكرام حامل القرآن من إجلال الله تعالى

روى أبو داود ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إنّ من إجلال الله تعالى : إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المُقسط] وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت :[أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نُنزل الناس منازلهم] رواه أبو داود ، وذكره مسلم في مقدمة [صحيحه] .

القارئ لا يهوله الفزع الأكبر يوم القيامة

روى الطبراني بإسناد لا بأس به ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ثلاثة لا يهولُهم الفزع الأكبر ، ولا

ينالهم الحساب ، وهم على كثب من المسك حتى يُفرغ من حساب الخلائق : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله تعالى ، وأمّ قوماً وهم به راضون ، وداع – أي : مؤذن – يدعو إلى الصلوات ابتغاء وجه الله ، وعبد أحسن فيما بينه وبين ربه ، وفيما بينه وبين مواليه]

شفاعة القرآن الكريم لقارئه

روى مسلم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه] الحديث ويأتي بتمامه ، وعن جابر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[القرآن شافع مشفّع ، وماحل مصدّق ، من جعله أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار] رواه ابن حبان في [صحيحه] [١٩] ، وشفاعة القرآن للقارئ قد تكون بمغفرة الذنوب ، وقد تكون برفع الدرجات والحلية بالكمالات .

فالأولى : يدل عليها ما رواه الترمذي وأبو داود وغيرهما :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

[إنّ سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غَفر الله له ، وهي :

{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ }]. والثانية : يدل عليها ما رواه الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

[يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا رب حلِّه ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول القرآن : يارب زده ، فيلبس حلّة الكرامة] – أي ثوباً سابغاً كريماً شعارَ أهل الكرامة عند الله تعالى – ثم يقول القرآن : يا ربّ ارض عنه ، فيرضى عنه . فيقال للقارئ : اقرأ وارق ، ويزداد بكل آية حسنة] وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : ربِّ

---

[١٩] انظر : [ترغيب] المنذري ، ومعنى :[ماحل] خصم مجادل ، و[مصدق] : مقبول الشفاعة .

إني منعته الطعام والشراب بالنهار ، فشفِّعني فيه ويقول القرآن :ربِّ إني منعته النوم بالليل فشفعني فيه – فيشفَّعان] رواه الإمام أحمد .

القارئ لا يزال يترقى في المنازل يوم القيامة

روى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ، ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها]

وروى ابن مردويه ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[عدد درج الجنة عدد آي القرآن ، فمن دخل الجنة ممن قرأ القرآن لم يكن فوقه أحد][٢٠]

فصاحب القرآن لا ينقطع عن قراءته في الجنة ، فهو يقرأ ويترقى في الدرجات ، ويزداد في الحسنات كما تقدم :[يقال للقارئ : اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة] الحديث

تلاوة القرآن الكريم تنفح السامعين بالطيب وتتضوع بالمسك

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن القرآن مَثله كمثل جِراب فيه مسك قد ربطت فاه ، فإن فتحته فاح ريح المسك ، وإن تركته كان مسكاً موضوعاً ، مثل القرآن إن قرأته ، وإلا فهو في صدرك] رواه الحكيم الترمذي ، كما في :[الفتح الكبير]

فضل القراءة في الصلاة على غيرها

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[قراءة القرآن في الصلاة أفضل من قراءة القرآن في غير الصلاة ، وقراءة القرآن في غير الصلاة أفضل من التسبيح والتكبير ، والتسبيح

[٢٠] انظر [الفتح الكبير]

أفضل من الصدقة – أي : أي النافلة – والصدقة أفضل من الصوم – أي النفل – والصوم جنَّة من النار] [٢١]

مضاعفة القراءة في المصحف على غيرها

عن أوس بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضعّف على ذلك إلى ألفي درجة][٢٢]

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً :[من سره أن يُحبّ الله ورسوله فليقرأ في المصحف][٢٣] ، وروى ابن مردويه عن عمرو بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً :[قراءتك نظراً تضاعف على قراءتك ظاهراً ، كفضل المكتوبة على النافلة] [٢٤]

وروى البيهقي والحكيم الترمذي ، عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً :

[أعطوا أعينكم حظها من العبادة : النظر في المصحف ، والتفكر فيه ، والاعتبار عند عجائبه] ، وروى ابن أبي داود ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :[كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل البيت نشر المصحف فقرأ فيه] وروى الإمام أحمد في كتاب : [الزهد] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال : [ما أحبُّ أن يأتي عليّ يوم ولا ليلة إلا أنظر في كتاب الله تعالى] يعني : القراءة في المصحف .

وروى البيهقي بسند حسن ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

[أديموا النظر في المصحف] . وروى ابن سعد ، أنه قيل لنافع : ما كان يصنع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في منزله ؟ فقال : لا تطيقونه : الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما .

---

[٢١] رواه البيهقي في [الشعب] على ضعف في إسناده ، ورواه الدارقطني في [الأفراد] كما في [الفتح الكبير] وأصله .
[٢٢] رواه الطبراني والبيهقي على ضعف في إسناده
[٢٣] رواه أبو نعيم والبيهقي كما في [الجامع الصغير] رامزاً لضعفه
[٢٤] انظر [الفتح الكبير] وأصله

وقال نافع : كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا افتتح المصحف ليقرأ بدأ فقال :[اللهم أنت هديتني ولو شئتَ لم أهتدِ لا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب]

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى ونفعنا به : قراءة القرآن في المصحف أفضل من القراءة عن ظهر قلب ، لأنّ النظر في المصحف عبادة مطلوبة ، فتجتمع القراءة والنظر – هكذا قاله : القاضي حسين من أصحابنا ، وأبو حامد الغزالي ، وجماعات من السلف ، ثم بين الإمام النووي رحمه الله تعالى أنه لو قيل بالتفصيل لكان القول حسناً ، وذلك أنه يختلف باختلاف الأشخاص ، فأيّة القراءتين أقرب إلى الخشوع والتدبر فهي أفضل .

قال : والظاهر من كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفسير اهـ

وقال الحافظ في [الفتح] : وقد صرّح كثير من العلماء بأن القراءة من المصحف نظراً أفضل من القراءة عن ظهر قلب ، قال : وأخرج أبو عبيد ، من طريق عبد الله بن عبد الرحمن ، عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعه قال :[فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهراً كفضل الفريضة على النافلة]

قال الحافظ في : [الفتح] : وإسناده ضعيف ، قال : ومن طريقه – أي : روى أبو عبيد – من طريق ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً :

[أديموا النظر في المصحف] قال : وإسناده صحيح [٢٥] اهـ

من أعظم إكرام الله تعالى لأهل الجنة أن يُسمعهم القرآن منه سبحانه

روى الترمذي والحكيم عن بريدة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إنّ أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين ، فيقرأ عليهم القرآن ، وقد جلس كل امرئ منهم مجلسَه الذي هو مجلسه [٢٦] ، على منابر الدرّ والياقوت والزمرد ، والذهب والفضة : بالأعمال ، فلا تقرُّ

---

[٢٥] انظر :[فتح الباري] .
[٢٦] يعني : أن كلاً منهم يجلس في مجلسه المعدّ له والمستعد له ، دون أن يكون فوضى في المجالس .

أعينهم قط كما تقرّ بذلك ، ولم يسمعوا شيئاً أعظم منه ولا أحسن منه ، ثم ينصرفون إلى رحالهم وقرّة أعينهم ناعمين إلى مثله من الغد] [٢٧]

وهذا من أعظم النعيم وأجلّ أنواع التكريم ، وتعتريهم لذة في سماعهم ما ذاقوا لها من قبل مثيلاً ، ولا معشارً منها ولا فتيلاً ، كما روى السّجزي في [الإبانة] : عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :

[كأنّ الناس لم يسمعوا القرآن حين يتلوه الله تعالى عليهم في الجنة]

وروى صاحب :[الفردوس] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[كأنّ الخلق لم يسمعوا القرآن حين يسمعونه من الرحمن يتلوه عليهم يوم القيامة] [٢٨]

والذي يظهر أن هؤلاء المكرمين الذين يسمعون كلام الله تعالى من الحق كل يوم مرتين – هم من أعلى أهل الجنة منزلة ، وأما غيرهم فلكل منهم نصيب حسب مقامه ، يدل على ذلك ما جاء في : [سنن الترمذي] ، و

[المسند] وغيرهما – واللفظ للترمذي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إنّ أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ، ونعمه وخدمه وسُرره مسيرة ألف سنة]

وفي رواية المسند :[ألفي سنة] – [يرى أقصاه كما يرى أدناه]

قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وأكرمهم على الله تعالى من ينظر إلى وجهه الكريم غدوة وعشية] ، وقد روي أنّ الله تعالى يقرأ على جميع أهل الجنة سورة الرحمن ، ليقرُّوا له بالفضل والامتنان .

نزول السكينة وتنزُّل الملائكة لقراءة القرآن الكريم

روى الإمام مسلم في حديث طويل ، عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله تعالى ، يتلون كتاب الله تعالى ـ ويتدارسونه بينهم :

---

[٢٧] انظر [الفتح الكبير]
[٢٨] انظر [الفتح الكبير]

إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده] وفي رواية :[الحلية] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[مجالس الذكر – أي : وأفضلها مجالس القرآن – تنزل عليهم بالسكينة ، وتحفُّ بهم الملائكة ، وتغشاهم الرحمة ، ويذكرهم على عرشه]

وروى البخاري عن أسيد بن حُضير رضي الله عنه قال :[بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة ، وفرسه مربوطة عنده ، إذ جالت الفرس – أي : اضطربت – فسكت – أي : أمسك عن القراءة – فسكنت الفرس ، فقرأ فجالت ، فسكت فسكنت الفرس ، ثم قرأ فجالت ، وكان ابنه يحيى قريباً منها فانصرف فأخَّره ، ثم رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة – السحابة – فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح حدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[تلك الملائكة : دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحتَ ينظر إليها الناس لا تتوارى منهم] أي : لا تختفي عنهم بل كلهم يرون الملائكة ، وفي رواية لمسلم : [فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو حتى ما أراها] فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

[تلك الملائكة دنت لصوتك] وفي رواية :[تلك الملائكة تستمع لك]

وفي رواية للحاكم :[تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت – أي : لو بقيت على قراءتك – لرأيت العجائب]

وروى البخاري ، عن البراء رضي الله عنه قال :[كان رجل يقرأ سورة الكهف ، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنينِ – أي حبلين – فتغشّته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو – أي : تقرب من مكان القارئ – وجعل فرسه ينفِر ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك له .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[تلك السكينة تنزّلت للقرآن]

وفي رواية الترمذي :[نزلت مع القرآن ، أو على القرآن]

البيوت التي يقرأ فيها القرآن تضيء بالأنوار

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[نوّروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن] ، وتقدم في الأحاديث أن بيوت القرآن تضيء لأهل السماوات ، وروى أبو عبيد من طريق مرسلة : قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : ألم ترَ لثابت بن قيس بن شمّاس رضي الله عنه لم تزل داره تزهر مصابيح ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[فلعله قرأ سورة البقرة] ؟ فسئل ثابت رضي الله عنه فقال :[قرأت سورة البقرة] كما في [تفسير] ابن كثير وغيره .

أصغر البيوت وأحقرها بيت لا يتلى فيه كتاب الله تعالى

روى النسائي في :[عمل اليوم والليلة] ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لا ألفينّ – أي : لا أجدنّ] أحدكم يضع رجليه على الأخرى يتغنى ويدع – أي : يترك – البقرة يقرؤها ، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ، وإنّ أصغر البيوت الجوفُ الصفرُ – أي : الخالية – من كتاب الله تعالى]

حفظ الملائكة لقارئ القرآن

روى الترمذي ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى : إلا وكَّل الله له ملكاً فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهبّ من نومه – متى هبَّ]

ورواه أحمد بلفظ :[بعث الله له ملكاً يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهبّ – متى هبّ] قال المنذري : ورواة أحمد رواة الصحيح .اهـ

الله تعالى يحب من يتلو كتابه في الليل

روى الترمذي ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ثلاثة يحبُّهم الله عزّ وجلّ : رجل قام من الليل يتلو كتاب الله ، ورجل تصدّق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله ، ورجل كان في سريّة فانهزم أصحابه فاستقبل العدو]

تلاوة القرآن الكريم تنزّل البركة

روى الطبراني ، عن الحكم بن عمير رضي الله عنه مرفوعاً :[تبرّك بالقرآن فهو كلام الله تعالى] [29]

البيت الذي لا يقرأ القرآن فيه قليل الخير كثير الشر

روى الدارقطني في :[الافراد] عن أنس وجابر رضي الله عنهما ،

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أكثروا من تلاوة القرآن في بيوتكم ، فإنّ البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن : يقلُّ خيره ، ويكثر شره ، ويضيق على أهله][30] ، فأكثر أيها المسلم من تلاوة القرآن الكريم في بيتك ، ليتَّسع خُلقك ورزقك ، وليطيب عيشك .

تالي القرآن على الناس ينال حظه

من شرف التبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[بلِّغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار] ورواه الترمذي والإمام أحمد ، فينبغي لمن يتلو كلام الله تعالى على عباد الله تعالى أن يقصد بذلك التقرب إلى الله تعالى ، والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ممتثلاً أمره صلى الله عليه وآله وسلم بذلك .

الله تعالى يحب العبد يتلو آياته في الليل وقد نام أصحابه

روى الترمذي والنسائي ، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ثلاثة يحبهم الله ، وثلاثة يبغضهم الله ،

فأما الذين يحبهم الله : فرجل أتى قوماً فسألهم بالله – ولم يسألهم لقرابة بينه وبينهم – فمنعوه ، فتخلف رجل بأعقابهم – أي : تأخر عنهم وتوارى – فأعطاه سراً ، لا يعلم عطيته إلا الله والذي أعطاه ، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبَّ إليه مما يُعدل به – أي : أحبّ من كل شيء من الدنيا –

---

[29] انظر [الفتح الكبير]

[30] انظر :[الجامع الصغير]

فوضعوا رؤوسهم ، فقام أحدهم يتملقني ، ويتلو آياتي ، ورجل كان في سريّة فلقي العدو ، فهُزموا ، فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له ، والثلاثة الذين يبغضهم الله : [فالشيخ الزاني ، والفقير المختال ، والغني الظلوم][٣١]

فضل الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم ومدارسته

روى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الهب له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم : إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده – ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه] ، وفي هذا الحديث الشريف جوامع من كلمه صلى الله عليه وآله وسلم ، الجامعة لأنواع من العلوم والحكم ، فيها الإرشادات والتوجيهات ، وبيان مراتب جمل من البر والإحسان ، ومن القربات والطاعات ، وبيان لمقابلاتها وأجزيتها .

الأولى : الحثّ على تنفيس الكرب عن المكروبين .

والكربة هي : الشدة العظيمة ، توقع صاحبها في الكرب ، وتنفيسها هو : أن يخفف عن المكروب من شدتها إن لم يستطع إزالتها وتفريجها عنه ، فإن التفريج أعظم ، وهو أن يزيل الكربة عن المكروب ، وبذلك يزول همه وغمه ، فجزاء التنفيس هو التنفيس ، وجزاء التفريج هو التفريج ، كما جاء في الحديث الذي رواه الطبراني ، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من نفّس عن مؤمن كربة من كربه ، نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر على مؤمن عورته ، ستر الله عورته ، ومن فرّج عن مؤمن كربة ، فرّج الله عنه كربته]

---

[٣١] انظر [جامع الأصول]

الثانية : الحثّ على التيسير على المعسر [ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة] وفي هذا دليل على أن يوم القيامة فيه من هو ذو يسر ومن هو ذو عسر ، والتيسير على المعسر في الدنيا من جهة المال هو إما بانتظاره إلى الميسرة ، وذلك واجب لقوله تعالى :{ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ } وإما بالوضع عنه إن كان غريماً ، وإلا فبإعطائه ما يزول به عسره ، الثالثة : الحث على ستر المسلم [ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة] ، وروى ابن ماجه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من ستر عورة أخيه المسلم ، ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم ، كشف الله عورته حتى يفضحه بها في جوف بيته]

الرابعة : الحث على إعانة المسلمين [والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه] ، وقد روى الطبراني من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً : [أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن : كسوت عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة] ، الخامسة : الحثّ على سلوك طريق العلم :[ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة]

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك طريقه وييسّره عليه ، فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة ، وهذا كقوله تعالى :{ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ }

وقد يراد أيضاً أن الله تعالى ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله تعالى ، والانتفاع به ، والعمل بمقتضاه فيكون سبباً لهدايته ولدخول الجنة بذلك ، وقد ييسر الله تعالى لطالب العلم علوماً أخر ينتفع بها ، وتكون موصلة إلى الجنة ، كما قيل : من عمل بما علِم أورثه الله تعالى عِلم ما لم يعلم .

ثم قال : وقد يدخل في ذلك أيضاً تسهيل طريق الجنة الحسنى يوم القيامة ، وهو الصراط وما قبله وما بعده من الأهوال ، فيُيّسَر ذلك على طالب العلم للانتفاع به ، فإنّ العلم يدل على الله تعالى من أقرب الطرق إليه ، فمن سلك طريقه ولم يعوجّ عنه : وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب الطرق وأسهلها ، فسهلت عليه الطرق الموصلة إلى الجنة كلها في الدنيا والآخرة ،

فلا طريق إلى معرفة الله تعالى ، وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة ، إلا بالعلم النافع الذي بعث الله تعالى به رسله ، وأنزل به كتبه ، فهو الدليل عليه ، وبه يُهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك قال تعالى :{ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ، السادسة : الحث على مدارسة كتاب الله تعالى ، والاجتماع على تلاوته ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى : يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم : إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده] وهذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة القرآن ومدارسته ، وهذا يشمل الاجتماع على تعلم القرآن وتعليمه ، ويشمل الاجتماع في المساجد على دراسة القرآن مطلقاً .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي العمل أفضل ؟ قال : [ذكر الله تعالى ، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتعاطون فيه كتاب الله فيما بينهم ، ويتدارسونه : إلا أظلتهم الملائكة بأجنحتها ، وكانوا أضياف الله ما داموا على ذلك ، حتى يخوضوا في حديث غيره]

وروي هذا مرفوعاً والموقوف أصح ، كما نبه عليه العلامة ابن رجب الحنبلي ، قال : وروى يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال : كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرؤون القرآن ، ويتعلمون الفرائض والسنن ، ويذكرون الله تعالى ، قال : وروى عطية ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ما من قوم صلوا صلاة الغداة ثم قعدوا في مصلاهم ، يتعاطون كتاب الله ، ويتدارسونه : إلا وكَّل الله تعالى بهم الملائكة يستغفرون لهم ، حتى يخوضوا في حديث غيره] قال رحمه الله تعالى : وهذا يدل على استحباب الاجتماع بعد صلاة الغداة لمدارسة القرآن ، ولكن عطية فيه ضعف .

وقد روى حرب الكرماني بإسناده عن الأوزاعي أنه سئل عن المدارسة بعد صلاة الصبح ؟ فقال : أخبرني حسان بن عطية أن أول من أحدثها في مسجد دمشق : هشام بن إسماعيل المخزومي فأخذ الناس بذلك .

وبإسناده عن سعيد بن عبد العزيز ، وإبراهيم بن سليمان أنهما كانا يدرسان القرآن بعد صلاة الصبح ببيروت ، والأوزاعي في المسجد لا يغير ولا ينكر عليهم ، وذكر حرب أنه رأى أهل دمشق وحمص وأهل مكة وأهل البصرة يجتمعون على القرآن بعد صلاة الصبح ، ولكن أهل الشام يقرؤون القرآن كلهم جملة واحدة من سورة واحدة بأصوات عالية وأهل البصرة وأهل مكة يجتمعون فيقرأ أحدهم عشر آيات ، والناس ينصتون ، ثم يقرأ آخر عشر آيات حتى يفرغوا ، قال حرب : كل ذلك حسن جميل . اهـ كلام ابن رجب رحمه الله تعالى .

فضيلة استظهار القرآن الكريم

إنّ من أعظم المنن الإلهية التي خص الله تعالى بها هذه الأمة على رسولها أفضل الصلاة والسلام وأطيب التحية – ولم يعطها أحداً من الأمم القبلية : أنه سبحانه جعل قلوب هذه الأمة أوعية لكلامه ، وجعل صدورها مصاحف لحفظ آياته ، لا يغسله من قلوبهم تيار الماء ، ولا يمحوه من صدورهم كيد الأعداء ، قال الله تعالى : { بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ } أما الدليل على أنه لا يغسله الماء ففي :[صحيح] مسلم عن عياض رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [إنّ ربي أمرني أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته – أي : أعطيته – عبداً : حلال [٣٢] ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم – أي : على الملة الحنيفية – وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم ، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم : عربهم وعجمهم إلا

[٣٢] يعني : أن من رزقه الله تعالى مالاً من طريق شرعي فهو حلال له ، وفي هذا رد وإبطال لما اعتاده أهل الجاهلية من تحريم بعض أموالهم على أنفسهم وجعلها لآلهتهم ، كالسائبة والوصيلة .

بقايا من أهل الكتاب [٣٣] ، وقال – الله تعالى - : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء [٣٤] تقرأه نائماً ويقظان] الحديث

وأما الدليل على شرف هذه الأمة بجعل صدورها مصاحف لآيات القرآن الكريم : فقد روى أبو نعيم في :[الدلائل] بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السموات والأرض قلتُ – أي : ليلة المعراج – يا ربّ إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته : جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليماً ، ، وسخرت لداود الجبال ، ولسليمان الريح والشياطين ، وأحييت لعيسى الموتى ، فما جعلت لي ؟ قال : أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله : إني لا أذكر إلا ذكرت معي ، وجعلت صدور أمتك أناجيل – أي : مصاحف – يقرؤون القرآن ظاهراً ، ولم أعطها أمة – أي : من قبلك – وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] ورواه غير أبي نعيم كما في : [تفسير] ابن كثير وغيره .

وروى الطبراني ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : صفتي : أحمد المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافئ بالسيئة ، مولده بمكة ، ومهاجره طيبة ، وأمته الحمادون ، يأتزرون على أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قربانهم الذي يتقربون به إليَّ دماؤهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار] [٣٥]

وأما تشريف هذه الأمة بجعل قلوبها أوعية للقرآن الكريم :

فعن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :

---

[٣٣] يعني : أنه لم يخرج عن المقت الإلهي إلا الذين تمسكوا بكتاب الله تعالى ، وهم قليل بالنسبة لغيرهم .
[٣٤] يعني : أن القرآن هو محفوظ في الصدور التي لا يمحو الماء ما فيها ، وهذا أقوى من حفظ السطور التي حوت بقية الكتب ، فإن الماء يمحوها .
[٣٥] انظر : الفتح الكبير ورواه البغوي في [شرح السنة]

[اقرؤوا القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن][36] وروى الإمام أحمد ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي صلى الهن عليه وآله وسلم أنه قال : [لو كان القرآن في إهابٍ ما أكلته النار] قال أبو عبيد : أراد بالإهاب قلب المؤمن وجوفه الذي قد وعى القرآن اهـ

حفظ القرآن أعظم نعم الله تعالى على العباد

روى البيهقي والبخاري في [تاريخه] عن رجاء الغنوي مرسلاً ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [من أعطاه الله تعالى حفظ كتابه فظنّ أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد غلط] وفي رواية :[فقد صغر أعظم النعم] وفي رواية :[فقد غمط أعظم النعم][37]

أشراف الأمة حملة القرآن الكريم

روى الطبراني والبيهقي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل] أي : المواظبون على قيام الليل .

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : حملة القرآن هم حفاظه الحاملون له في صدورهم ، العالمون تلاوته ، العاملون بمقتضاه ، وأصحاب الليل هم الذين يحيونه بأنواع العبادة . قال : وقال العلامة الطيبي : إضافة الأصحاب إلى الليل لكثرة مباشرة القيام والصلاة فيه ، كما يقال : ابن السبيل لمن يواظب على السلوك فيه اهـ

أغنى الناس حملة القرآن الكريم

روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :[أغنى الناس حملة القرآن]

وقاية حامل القرآن الكريم

[36] عزاه في : [الجامع الصغير] إلى تمام في [فوائده] رامزاً لحسنه .
[37] انظر [شرح الزرقاني] على المواهب] و[الفتح الكبير] وغيرهما .

روى الديلمي في [مسند الفردوس] عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[حامل القرآن موقى]

قال العلامة المناوي رحمه الله تعالى : موقى : مبني للمفعول ، أي : محفوظ من النار ، ومن الأذى .

كرامة حامل القرآن الكريم

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [أكرموا حملة القرآن ، فمن أكرمهم فقد أكرمني ، ومن أكرمني فقد أكرم الله تعالى ، ألا فلا تنقصوا حملة القرآن حقوقهم فإنهم من الله بمكانة] [٣٨]

حامل القرآن الكريم حامل راية الإسلام

عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً :[حامل القرآن حامل راية الإسلام ، من أكرمه فقد أكرم الله تعالى ، ومن أهانه فعليه لعنة الله][٣٩]

حامل القرآن الكريم ممتع بعقله

وروى ابن عدي ، عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً :[من جمع القرآن متعه الله تعالى بعقله حتى يموت]

حملة القرآن الكريم أولياء الله تعالى

روى ابن النجار ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : [حملة القرآن أولياء الله ، فمن عاداهم عادى الله ، ومن والاهم فقد والى الله تعالى]

حملة القرآن الكريم في ظِلِّ الله تعالى

جاء في :[مسند الفردوس] عن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن حملة القرآن في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه] الحديث .

شفاعة حامل القرآن الكريم

[٣٨] عزاه في : [الجامع الصغير] للديلمي ، قال المناوي: وكذا رواه الدارقطني اهـ
[٣٩] عزاه في [الجامع الصغير] إلى [الفردوس] رامزاً لضعفه .

روى الترمذي وغيره ، عن علي رضي الله عنه ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من قرأ القرآن فاستظهره – أي : حفظه – فأحلّ حلاله وحرّم حرامه : أدخله الله تعالى الجنة ، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار] [٤٠]

لا يعذب الله تعالى قلباً وعى القرآن

قال الحافظ ابن حجر في :[الفتح] أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح ، عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال :[اقرؤوا القرآن ، ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلَّقة [٤١] ، فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن]

حملة القرآن عُرفاء أهل الجنة

روى الطبراني ، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما مرفوعاً : [حملة القرآن عرفاء أهل الجنة يوم القيامة] [٤٢]

تنبيه : قال في : [شرح المنية] : إنّ حفظ ما تجوز به الصلاة فرض عين على كل مكلف ، وحفظ فاتحة الكتاب وسورة واجب ، وحفظ سائر القرآن فرض كفاية وسنة عين أفضل من صلاة النفل اهـ .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : أن يفرض لحفاظ القرآن في البصرة ما يفي بحاجتهم .

حامل كتاب الله تعالى يكرم شرعاً

قال الإمام البخاري في : [صحيحه] : باب القراءة عن ظهر قلب . ثم أسند عن سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي . فلما رأتِ المرأة أنه

---

[٤٠] فحافظ كتاب الله تعالى العامل بمقتضاه مضمون له أن يدخل الجنة وأن يشفع في عشرة من أهل بيته قد وجبت لهم النار

[٤١] يعني : لا ينبغي للمسلم أن يترك تلاوة القرآن ويتكاسل عن ذلك ويكتفي بتعليقه في بيته ، فإن المصاحف ينبغي أن تكون منشورة للقراءة فيها ، لا مطوية مهجورة

[٤٢] كذا في [الجامع الصغير] وغيره .

لم يقض فيها شيئاً جلست ، فقام رجل من أصحابه فقال : يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوّجنيها . فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :

[هل عندك من شيء] ؟ فقال : لا والله يا رسول الله . قال : [اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً] فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً . قال :[انظر ولو خاتماً من حديد] فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ! ولكن هذا إزاري !

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ما تصنع بإزارك ؟ إن لبِسْتهُ لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبِسَتهُ لم يكن عليك شيء] فجلس الرجل حتى طال مجلسه ثم قام ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مولّياً – أي : ذاهباً – فأمَر به فدُعي ، فلما جاء قال له صلى الله عليه وآله وسلم : [ماذا معك من القرآن] قال : معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا – عدّها – فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أتقرؤهن عن ظهر قلب]؟ فقال : نعم ، قال :[اذهب فقد ملَّكتكها بما معك من القرآن]

حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المكتسبون نور الله تعالى

جاء في :[المرقاة شرح المشكاة] عن أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه أنه قال :[إنّ القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى ، فمن وقرّ القرآن فقد وقرّ الله تعالى ، ومن لم يوقرّ القرآن فقد استخفّ بحق الله تعالى .

والقرآن شافع مشفَّع ، وماحل مُصدّق ، من شفع له القرآن شُفِّع ، ومن محل به القرآن صُدِّق . ومن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار . وحملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله تعالى ، المكتسبون نور الله تعالى ، المتعلمون كلام الله تعالى ، من عاداهم فقد عادى الله تعالى ومن والاهم فقد والى الله تعالى ، يا حملة كتاب الله استجيبوا لله تعالى : بتوقير كتابه يزدكم حباً ، ويحببكم إلى خلقه ، يُدفع عن مستمع القرآن سوء الدنيا ، ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة . ومُستمع آية من كتاب الهع تعالى خير له من صِير – اسم جبل – ذهباً ، وتالي آية من كتاب الله تعالى خير له مما تحت أديم السماء . وإن من القرآن لسورة عظيمة عند الله تعالى

يدعى صاحبها : الشريف عند الله ، يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر ، وهي سورة يس] اهـ .[٤٣]

لحامل القرآن دعوة مستجابة

روى الإمام مسلم ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لحامل القرآن دعوة مستجابة]

آداب حامل القرآن الكريم

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد[٤٤] ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله تعالى] رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

وقد خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حملة القرآن وأرشدهم إلى المطالب والآداب التي ينبغي أن يتحققوا بها . فقد روى البيهقي في : [الشعب] أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [يا أهل القرآن لا تتوسَّدوا القرآن ، واتلوه حق تلاوته ، في آناء الليل والنهار ، وأفشوه ، وتغَنَّوه ، وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون ، ولا تعجَّلوا ثوابه فإن له ثواباً] والمعنى : فابتغوا وجه الله تعالى وثوابه الباقي ، ولا تتعجلوا ثواب الدنيا وحطامها الفاني ، ومعنى :[لا تتوسَّدوا القرآن] : لا تجعلوه كالوسادة تنامون عليه ، وتغفلون عن حقوقه ، بل قوموا بواجب القرآن ، وطبقوا العمل به ، ومن ذلك القيام به ليلاً ، فإن للقرآن حقاً في الليل وحقاً في النهار اللهم اجعلنا ممن تلاه حقَّ تلاوته ، وأدى حقوقه وواجباته ، وتدّبر في آياته وكلماته .

آداب القراءة ومطالبها

---

[٤٣] انظر [المرقاة]

[٤٤] أي : لا ينبغي لحامل القرآن الكريم أن يغضب فيسّب ويشتم ، ولا يجهل جهالة عمل بفسق أو معصية ، بل يجب عليه أن يتجمل ويتكمل ، لأن في جوفه كلام الله تعالى .

اعلم – علمنا الله تعالى وإياك – أنّ الحكم على قول أو فعل بأنه عبادة لله تعالى ، أو قربة إلى الله تعالى ، أو حسنة يبتغى ثوابها عند الله تعالى – كل ذلك يحتاج إلى دليل من الشرع يثبت هذا الحكم ، وإلا فهو مردود على قائله ، لأن وصف القول والفعل بأنه عبادة أو قربة إلى الله تعالى أو حسنة – أمر توقيفي ، أي : موقوف على الورود في الشرع مع الإذن بذلك .

إذا علمت ذلك فاعلم أن تلاوة القرآن الكريم هي عبادة من أعظم العبادات ، وقربة تُزلف إلى الله تعالى من أقرب القربات ، وحسنة من أجمع الحسنات

دليل ذلك : أما أنها عبادة فقد ذكرها الله تعالى في سياق العبادات أمراً وخبراً : قال تعالى :{ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } الآية

وقال تعالى في ثنائه سبحانه على عبادة العابدين : { إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ } ولذلك جاء في الحديث كما تقدم عنه صلى الله عليه وآله وسلم : [أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن] .

وأما أن تلاوة القرآن الكريم قربة إلى الله تعالى : فقد روى الترمذي ، وأحمد في :[المسند] عن أبي أمامة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ما أذن الله تعالى لعبد في شيء أفضل من ركعتين أو أكثر من ركعتين ، وإنّ البِرَّ لَيَذرُّ فوق رأس العبد ما دام في صلاته ، وما تقرب العبد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه] [٤٥] ، أي : بدأ منه وهو القرآن الكريم ، فإنه منه بدأ ، وهذا لفظ الترمذي وقال فيه : حسن غريب

وأما أن تلاوة القرآن من أجمع الحسنات : فقد تقدم في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها] الحديث ، فلما كانت تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربة ، وحسنة جامعة فلا بدّ لها من آداب ومطالب تطلب من القارئ ، حتى تتم له عبادته ، وتصح له قربته ، وتثبت له حسنته ، وهي كثيرة نذكر منها جملة مهمة وشهيرة :

---

[٤٥] انظر [جامع الأصول] و[الفتح الكبير]

الأول الإخلاص : فينبغي للقارئ أن يقصد بقراءته وجه الله تعالى ، كما هو الشأن المطلوب في جميع العبادات .

قال الله تعالى :{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } أي : الملَّة المستقيمة .

وفي :[الصحيحين] عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] الحديث .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :[إنما يُعطى الرجل على قدر نيته]

الثاني الوضوء : يستحب للقارئ أن يكون متوضئاً ، لأن القرآن هو أفضل الأذكار ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يذكر الله تعالى على طهارة ، كما ثبت في الحديث ، ولكن لا تُكره القراءة على غير وضوء ، فقد جاء في البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما استيقظ من منامه فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي صلى الله عليه وآله وسلم . الثالث السواك : يستحب للقارئ أن يستاك : تعظيماً وتطهيراً وتطييباً للفم الذي هو طريق قراءة القرآن .

روى البزار بسند جيد ، عن علي رضي الله تعالى عنه أنه أمر بالسواك وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن العبد إذا تسوّك ثم قام يصلي ، قام الملك خلفه فيستمع لقراءته ، فيدنو منه حتى يضع فاه على فِيه ، فما يخرج من فِيه – أي : من فم القارئ – شيء إلا صار في جوف الملَك ، فطهروا أفواهكم للقرآن][٤٦]

[٤٦] انظر [ترغيب] المنذري .

وروى ابن ماجه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً :[إن أفواهكم طرق للقرآن فطيّبوها بالسواك] وروى البيهقي ، عن سمرة رضي الله عنه مرفوعاً :[طيّبوا أفواهكم بالسواك فإنها طرق القرآن] [٤٧]

الرابع استقبال القبلة : يستحب للقارئ أن يستقبل القبلة ، لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

[أشرف المجالس ما استُقبل به القبلة] رواه الطبراني ، وروى الطبراني ، وابن عدي ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[أكرم المجالس ما استُقبل به القبلة]

وأن يجلس متخشعاً بسكينة ووقار ، فلو قرأ قائماً أو مضطجعاً أو في فراشه أو على غير ذلك من الأحوال جاز وله الأجر ، ولكن دون الأول .

قال الله تعالى :{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ } الآية

والقرآن هو أفضل الأذكار الإلهية ، وفي :[الصحيحين] عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : [كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ القرآن ورأسهُ في حِجري] ، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال :[إني أقرأ القرآن في صلاتي ، وأقرأ على فراشي] ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت :[إني لأقرأ حزبي وأنا مضطجعة على السرير]

الخامس طهارة المكان ونظافته : قال في :[الإتقان] : تسنُّ القراءة في مكان نظيف ، وأفضله المسجد اهـ ، قال الإمام النووي : وأما القراءة في الطريق فالمختار أنها جائزة غير مكروهة إذا لم يلتهِ صاحبها ، فإن التهى عنها كُرهت كما كره النبي صلى الله عليه وآله وسلم القراءة للناعس مخافة الغلط ، وروى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الطريق ، ولا يقرأ القرآن ناعسٌ مخافة الغلط : روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدرِ ما يقول فليضطجع]

---

[٤٧] انظر [الفتح الكبير]

السادس الطهارة من الحدث الأكبر : الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس فرض لقراءة القرآن بقصد القرآن ، فيحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة القرآن [٤٨] مقصوداً ، ويجوز لهم إجراء القرآن على قلوبهم من غير تلفظ به ، ويجوز لهم النظر في المصحف من غير مسّه .

روى الترمذي وابن ماجه ، والإمام أحمد في :[مسنده] عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً [لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن]

كما في [الفتح الكبير] ، قال الإمام النووي : وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض اهـ

أما إذا لم يقصد القرآن بل قصد الذكر أو الدعاء فهو جائز ولا يحرم عليهم

فالذكر : كأن يقول الجنب أو الحائض عند الركوب :{ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ } وكقوله عند المصيبة :

{ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } أو يقول :{ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } ونحو ذلك دون أن يقصد القرآن ، وأما الدعاء فكأن يقول :{ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } وأمثال ذلك بقصد الدعاء .

وأما مس المصحف : فيحرم على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر ، إلا بشيء منفصل عنه وعن المصحف : والدليل على ذلك ما رواه الإمام مالك في

[الموطأ] أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعمرو بن حزم [أن لا يمس القرآن إلا طاهر] الحديث ، وكتاب عمرو رضي الله عنه : تلقَّاه الناس بالقبول ، وقال يعقوب بن سفيان : لا أعلم كتاباً أصحَّ من هذا الكتاب ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتابعين يرجعون إليه ، ويدعون رأيهم ، وقال الحاكم : قد شهد عمر بن عبد العزيز والزهري لهذا الكتاب بالصحة .

[٤٨] ولو دون آية من المركبات لا المفردات ، لأنه يجوز للحائض المعلمة تعليم القرآن كلمة كلمة ، كما في :[رد المحتار]

وروى الطبراني ، والدار قطني ، والحاكم ، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : [لا تمسّ القرآن إلا وأنت طاهر] كما في [الجامع الصغير] ، وروى الطبراني ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً :[لا يمسُّ القرآن إلا طاهر] كما في [الفتح الكبير] وروى الدار قطني في قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن أخته قالت له قبل أن يسلم : إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون .

وثمة عدة من الشواهد الحديثية ليس هذا موضع تفصيلها .

السابع التعوذ والبسملة : يسنّ للقارئ أن يتعوذ قبل القراءة عملاً بقوله تعالى :{ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } وصيغة التعوذ عند الأكثرين هي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويسنّ أيضاً التعوذ قبل القراءة في أول ركعة من الصلاة فقط ، كما أنه يسنّ للقارئ بالبسملة أول كل سورة سوى سورة براءة . والدليل على مشروعية البسملة أول السورة : ما رواه الإمام البخاري وغيره ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقالت : كان يقطع قراءته آية آية :{ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ }

وإذا تثاءب أثناء القراءة فينبغي له أن يمسك عن القراءة ، قال مجاهد : إذا تثاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القراءة تعظيماً حتى يذهب تثاؤبك .

وفي البخاري أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه – أي : فمه – فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب]

الثامن : التدبر عند القراءة : من أهم المطالب أن يكون القارئ في حال قراءته متدبراً متفهماً لما يقرأ ، لأن الله تعالى أنزل الكتاب للتدبر والتذكر :

قال الله تعالى :{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ } وقال تعالى في الإنكار والتوبيخ لمن لم يتدبر :{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } ؟ الآية . قال سيدنا علي رضي الله عنه : لا خير في قراءة لا تدبر فيها . وقال الحسن البصري : إن من كان قبلكم –

يعني : الصحابة رضي الله تعالى عنهم – رأوا أن هذا القرآن رسائل إليهم من ربهم ، فكانوا يتدبرونها بالليل ، وينفذونها في النهار .

قال الحافظ السيوطي : وصفة التدبر أن يشغل – القارئ – قلبه بالتفكر في معنى ما يتلفظ به ، فيعرف معنى كل آية ، ويتأمل الأوامر والنواهي ، ويقصد قبول ذلك ، فإن كان قصّر عنه فيما مضى من عمره اعتذر واستغفر ، وإذا مرّ بآية رحمة : استبشر وسأل الله تعالى من فضله ، وإذا مرّ بآية عذاب : أشفق وتعوذ ، أو تنزيه نزّه وعظم ، أو دعاء : تضرّع وطلب ، أخرج مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال :[صليت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها ، ثم النساء فقرأها ، ثم آل عمران فقرأها ، مترسّلاً ، وإذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ] وروى أبو داود والنسائي وغيرهما ، عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال :[قمت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمرُّ بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف وتعوذ] اهـ .

وإذا قرأت القرآن فضع نفسك موضع المخَاطب : فإذا مررت بآية الوعد والوعيد أو الأمر والنهي فانظر في نفسك مع من أنت تجدها ؟ مع المؤتمرين بها أما التاركين لها ؟ ومع المنتهين أم مع المخالفين ؟

وإذا مررت بالآيات التي فيها صفات المؤمنين وأخلاقهم فاعرض نفسك عليها ، هل أنت منهم ؟ فاحمد الله واستزده ، أم لست منهم فاسع لذلك ، وتخلَّق واتصف بصفاتهم . وإذا مررت بصفات المنافقين فاحذر أن تكون منهم وأنت لا تشعر ، وإذا مررت بقوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } فأوع سمعك وقلبك إلى ما بعدها ، فإن كان أمراً فأتمر به ، أو نهياً فانته عما نهى ، وقد كان بعض السلف يقول عند { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } : لبيك ربي وسعديك ، وذلك كقوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } الآية ، فانظر في أمر نفسك وأهلك : في صلاتهم وصيامهم ، وما يجب عليهم في طهارتهم وجنابتهم ، وحيض النساء ونفاسهن ، فتفقَّد أحوالهن في ذلك ، فإن كنّ ممن يعلم أحكام ذلك ويؤديها كما يجب فزد في تذكيرهن ، وإن كنّ مقصّرات في ذلك فعليك بأمرهنّ

ووعظهن وزجرهن ، لأنك الراعي عليهن ، المسؤول عنهن ، قال تعالى :{ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا } الآية ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم :[مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع] وقال علي كرم الله وجهه في معنى قوله تعالى :{ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا } الآية قال : علِّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم ، وكذلك قوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } الآية ، فإذا قرأت هذه الآية وأمثالها فتذكر أفعالك السيئة وتُب إلى الله تعالى منها ، وهكذا تدور مع القرآن الكريم حيث دار ، ائتماراً عند الأمر ، وانتهاءً عند النهي ، وخوفاً عند الخوف ، ورجاءً عند الرجاء ، واستغفاراً عند آيات الاستغفار ، واتعاظاً عند آيات الوعظ ، واعتباراً عند آيات القصص ، واعتقاداً وإيماناً في آيات الإيمان والعقيدة ، وإثباتاً في الإثبات ، وتنزيهاً في التنزيه .

وصية الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه وعنا به

ولما عهد الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه بالخلافة إلى الفاروق الأنور رضي الله عنه كان فيما أوصاه أن قال له : [يا عمر إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يا عمر إن لله تعالى حقاً في الليل ولا يقبله في النهار ، وحقاً في النهار ولا يقبله في الليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، ألم ترَ يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق ، وثقله عليهم ، وحقَّ لميزان لا يوضع فيه غداً إلا حقٌ أن يكون ثقيلاً ، ألم تر يا عمر أنما خفّت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفَّته عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه غداً إلا باطل أن يكون خفيفاً ، ألم تر يا عمر أنما أنزلت آية الرجاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرجاء ، ليكون المؤمن راغباً راهباً ، لا يرغب رغبة يتمنى على الله تعالى ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه – أي : بأن يقنط من رحمة الله تعالى – ألم تر يا عمر أنما ذكر الله تعالى أهل النار بسوء أعمالهم ، فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون منهم ، وإنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه تجاوز عما كان من سيء ، فإذا ذكرتها قلت أين عملي من أعمالهم ، فإن حفظت وصيتي فلا يكون

غائبٌ أحبَّ إليك من الموت ، ولست بمعجزه – أي : لابد أن يدركك – ثم توفي رضي الله عنه] [٤٩]

كلمات موجزة حول قول الله تعالى :

{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }

وماذا يجب على المؤمن أن يكون موقفه مع القرآن وفيه قصة الأحنف بن قيس : ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء :[قيام الليل] عن الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً ، فعرضت له هذه الآية :{ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } فانتبه فقال : عليَّ بالمصحف لألتمس ذكري اليوم ، حتى أعلم من أنا ومن أشبه – يعني : لما علم أن القرآن قد ذكر جميع صفات البشر وبيّن صفاتهم ومراتبهم ، أراد أن يبحث عن نفسه

في أي الطبقات هو ؟ - . فنشر المصحف ، فمرّ بقوم :{ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }

ومرّ بقوم :{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } ومرّ بقوم :{ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } ومرّ بقوم :

{ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } ومرّ بقوم :{ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } ومرّ بقوم :{ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ }

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم لست أعرف نفسي ها هنا – يعني : لم يجد هذه الصفات في نفسه حتى يعدّ نفسه من هذه الطبقة - . ثم أخذ الأحنف السبيل الآخر ، فمرّ في المصحف بقوم :{ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ } ومرّ بقوم قال الله تعالى فيهم :

---

[٤٩] روى ذلك ابن جرير عن مجاهد كما في [الدر المنثور] وقد روى ذلك ابن جرير من طرق متعددة .

{ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } ومرّ بقوم يقال لهم :{ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ }

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء ! فما زال الأحنف يقلّب ورق المصحف ، ويلتمس في أيّ الطبقات ، حتى وقع على هذه الآية :{ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } فقال الأحنف : أنا من هؤلاء .

فانظر أيها المسلم موضع نفسك من كتاب الله تعالى ، وفي أيّ الطبقات أنت ، واحذر أن تكون ممن تنطبق عليهم صفات المنافقين أو الفاسقين ، عياذاً بالله العظيم . قال تعالى :{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ }

يا من يصيخُ إلى داعي الشقاء وقد نادى به الناعيان : الشيب والكبر
إذا كنت لا تسمع الذكرى ففيم تُرى في رأسك الواعيان : السمع والبصر
ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل لم يهده الهاديان : العين والأثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الأ على ولا النَّيِّران :الشمس والقمر
ليرحلنَّ عن الدنيا وإن كرِها فراقها الثاويان : البدو والحضرُ

مقامات قرّاء القرآن الكريم

نقل في [البرهان] عن بعض العارفين رضي الله تعالى عنهم أنه قال : الناس في تلاوة القرآن الكريم على ثلاثة مقامات : المقام الأول : من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه وتكلمه في خطابه ، وتملّيه بمناجاته ، وتعرفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبئ عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة أو فعل – أي : من أسماء الله تعالى ، وأوصافه ، وأحكامه وإرادته وأفعاله – لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف ، ويدل على الموصوف – وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مستغرق بمشاهدة

المتكلم ، قال السيد الإمام جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه : لقد تجلَّى الله تعالى لخلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

الثاني : من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بألطافه ، ويتملقه بإنعامه وإحسانه ، فمقام هذا الحياء والتعظيم – لمقام الله عز وجل – وحالة الإصغاء والفهم عن الله تعالى – وهذا لعموم المقرَّبين .

الثالث : من يرى أنه يناجي ربه سبحانه ، فمقام هذا القارئ السؤال والتملق – بمولاه – وحاله الطلب – وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين ، وقال بعض العارفين : في القرآن ميادين وبساتين ،و مقاصير وعرائس ، ودبابيج ورياض ، فالميمات – أي : السور المفتتحة بـ : الم – ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصير القرآن

والمسبِّحات عرائس القرآن ، والحواميم ديابيج القرآن ، والمفصَّل رياضه ، فإذا دخل المريد في الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزه في الرياض ، وسكن غرفات المقامات : اقتطعه عما سواه ، وأوقفه ما يراه ، وشغله المُشاهد له عما عداه ، وروى البيهقي بإسناده عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [أعربوا القرآن ، والتمسوا غرائبه] وغرائبه : فرائضه وحدوده .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :[من أراد علم الأولين والآخرين فليثوِّر – أي : فليبحث – القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين]

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : [لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً] أي : حتى يفهم معاني القرآن من عدة أوجه .

استحباب السلف الصالح ترديد الآية للتدبر

كان كثير من السلف الصالح من يردّد الآية الواحدة عدة مرات ليتدبّر فيها ، وكلما أعادها انكشفت له وجوه من معانيها ، وتجلَّت له ألوان من أنوارها ، فهم يتعلقون بها رجاء ، أو يخشون منها خوفاً ، أو يسترحمون بها ويستشفعون ، روى الإمام أحمد ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، أنه قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فقرأ بآية حتى أصبح قلت : يا رسول الله ما زلت تقرأ هذه الآية حتى أصبحت تركع وتسجد بها ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها ، وهي – إن شاء الله – لمن لا يشرك بالله شيئاً]

وعن تميم الداري رضي الله تعالى عنه أنه كرر هذه الآية :{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } ؟ الآية ، حتى أصبح . وعن عبادة بن حمزة قال : دخلت على أسماء رضي الله تعالى عنها وهي تقرأ :{ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ }الآية قال : فوقفتْ عندها فجعلت تعيدها وتدعو .

قال الإمام النووي : رويت هذه القصة عن السيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً ، وروى المبارك في كتاب :[الزهد] عن أبي ريحانة رضي الله عنه أنه قفل – رجع – من غزوة له فتعشّى ، ثم توضأ وقام إلى مسجده فقرأ سورة ، فلم يزل حتى أُذّن للصبح . فقالت امرأته : غزوت فغبت ، ثم قدمت ، أفما كان لنا فيك نصيب ؟ قال : بلى والله ، ولو ذكرتُك لكان لكِ عليّ حقٌ . قالت : فما الذي شغلك ؟ قال : التفكر فيما وصف الله تعالى في جنته ولذّاتها ، حتى سمعت المؤذّن [٥٠].

وقال الشيخ إبراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السَّحر ، ومجالسة الصالحين . وردد ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى

---

[٥٠] [شرح الزرقاني] 3 / 330

:{ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } . وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى :{ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ } الآية كان يرددها إلى السَّحر .

التاسع الخشية والبكاء لقراءة القرآن : قال الله تعالى :{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } الآية . وقال الله تعالى :{ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } فقد أثنى الله تعالى على البكَّائين عند قراءة القرآن . وقال الله تعالى :{ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } الآية ، فبيَّن سبحانه أن هذا القرآن لو أنزل على الجبال الصمّ القاسية لخشعت وتصدّعت من خشية الله ، فكيف إذا أنزل على القلوب ؟! فهو أحقُّ بالخشية وأجدر ، ومن القبيح أن يكون القلب أشد قسوة من الجبل وفي :[الصحيحين] عن ابن مسعود رضي الله عنه ، لما قرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال ابن مسعود : فالتفتُّ فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تذرفان . وروي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [إنّ هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، وتغنَّوا به فمن لم يتغنَّ بالقرآن فليس منَّا] رواه ابن ماجه [٥١] ، وروى الإمام أحمد ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيتي – أي : في مرض الوفاة – قال :[مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس] قالت السيدة عائشة رضي الهض عنها : فقلت : يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه ، فلو أمرت غير أبي بكر – الحديث ، وعن الحسن رضي الله تعالى عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضي اله تعالى عنه يمرُّ بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض . وعن أبي رجاء قال : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما وتحت عينيه مثل الشراك البالي من الدموع . وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون . فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : هكذا كنَّا – أي : على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن هشام قال : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين في الليل وهو في الصلاة – أي : داخل بيته يسمع صوت بكائه الجيران - .

[٥١] كما في [الترغيب والترهيب] للمنذري ، وقال فيه ابن علاَّن في [شرح الأذكار] : حديث غريب أخرجه ابن ماجه ، ومحمد بن نصر ، وأبو عوانة ، وابن أبي داود اهـ

وروى محمد بن نصر ، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً :[أحسن الناس قراءة الذي إذا قرأ رأيت أنه يخشى الله]
وفي رواية الطبراني :[أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزّن به]
وروى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :[لما نزلت { أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ } الآيات : بكى أصحاب الصفَّة حتى جرت دموعهم على خدودهم] رواه البيهقي .
وقال أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه :[لو أني أكون على أحوال ثلاثة من أحوالي لكنت من أهل الجنة : حين أقرأ القرآن ، وحين أسمعه ، وإذا سمعت خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] .
العاشر الترتيل : يسنّ الترتيل في قراءة القرآن الكريم ، قال الله تعالى : { وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا } وعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها أنها نعتت قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هي تنعت قراءته مفسّرة حرفاً حرفاً ، وعن قتادة قال : سألت أنساً رضي الله تعالى عنه عن قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[كان صلى الله عليه وآله وسلم يمدُّ مدّاً ، ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، يمدُّ بـ بسم الله ، ويمدُّ بـ الرحمن ، ويمدُّ بـ الرحيم] رواه البخاري ، وفي :[الصحيحين] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رجلاً قال له : إني أقرأ المفصَّل في ركعة واحدة ! فقال : هذَّاً كهذِّ الشِّعر ! – وهو سرعة القراءة كما يُنشد الشعر – إن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع !
قال في :[شرح المهذب] : واتفقوا على كراهة الإفراط في الإسراع – وهو المسمى بالهذرمة - . وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : لأن أقرأ سورة أرتلها أحبُّ إليَّ من أن أقرأ القرآن كله .
الحادي عشر استحباب الإجابة بما ورد عند بعض الآيات والسور : يستحب للقارئ أن يأتي بالوارد على الوجه الآتي : عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال :[من قرأ :{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ } فقال :{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ } فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين .
ومن قرأ :{ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } فانتهى إلى آخرها :{ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى } فليقل : بلى . ، ومن قرأ :{ وَالْمُرْسَلَاتِ } فبلغ { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } فليقل : آمنا بالله تعالى] رواه أبو داود والترمذي ، وروى الإمام أحمد ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } الآية ، يوم عرفة ثم قال بعد قراءتها :

[وأنا على ذلك من الشاهدين يا ربِّ] ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ :{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } قال :[سبحان ربي الأعلى] رواه أبو داود وأحمد .
وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحابة فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال :[لقد قرأتها على الجنّ فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله :{ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذِّب ، فلك الحمد] رواه الترمذي والحاكم .
وعن وائل بن حجر رضي الله تعالى عنه قال :[سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ :{ ولا الضالين } فقال :[آمين] يمدُّ بها صوته] رواه أبو داود ، والطبراني بلفظ قال :[آمين] ثلاث مرات .
وأخرجه البيهقي بلفظ قال :[رب اغفر لي – آمين] وأخرج أبو عبيد عن أبي ميسرة : أن جبريل لقنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند خاتمة البقرة :[آمين] ، وأخرج عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا ختم سورة البقرة قال :[آمين] ، وأخرج ابن مردويه ، والديلمي وابن أبي الدنيا بسند ضعيف جداً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ :{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ } الآية فقال :[اللهم أمرت بالدعاء ، وتكفلت بالإجابة ، لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، أشهد أنك فرد أحد صمد ، لم تلد ولم تولد ، ولم يكن لك كفواً أحد ، وأشهد أن وعدك حق ، ولقاءك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة آتية لا ريب فيها ، وأنك تبعث من في القبور]
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :[كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل ، قال : فلبثنا ساعة – أي : فنزل عليه الوحي يوماً – ثم استقبل القبلة ورفع يديه – أي : بعد انقضاء الوحي – وقال : [اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا] ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[أنزل علي عشر آيات من أقامهن – أي : حفظهن – دخل الجنة { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } حتى ختم الآيات العشرة] رواه الترمذي وأحمد .
وروى ابن قانع ، عن ابن أبي ليلى ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مرّ بآية فيها ذكر النار قال :[ويل لأهل النار ، أعوذ بالله من النار]
قال في [التبيان] : ومن الآداب : إذا قرأ قول الله عز وجل :{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ } {وَقَالَتِ الْيَهُودُ

يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ } { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا } ونحو ذلك من الآيات : فينبغي أن يخفض بها صوته – كذا كان إبراهيم النخعي يفعل رضي الله تعالى عنه ، ومنها : ما رواه ابن أبي داود بإسناد ضعيف عن الشعبي أنه قيل له : إذا قرأ الإنسان { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ } الآية يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : نعم – اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم .

استحباب تحسين الصوت بالقرآن

قال النووي في [التبيان] : أجمع العلماء رضي الله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين : على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة اهـ

والأحاديث الواردة في استحباب ذلك كثيرة نذكر جملة منها : عن البراء رضي الله عنه قال :[سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في العشاء بالتين والزيتون ، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه] رواه الشيخان وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لله أشد أذناً – أي : استماعاً – للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته] وهي الأمة التي تغني مولاها .

رواه الإمام أحمد ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم ، والبيهقي .

وروى ابن حبان ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :

[ما أذن الله لشيء كأذنه للذي يتغنى بالقرآن يجهر به] كما في : [كنز العمال] وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[زينوا القرآن بأصواتكم] رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه . وروي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتوه يقرأ حسبتموه يخشى الله] رواه ابن ماجه .

وروى عبد الرزاق في :[جامعه] والضياء ، عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لكل شيء حلية وحلية القرآن : الصوت الحسن] كما في [الفتح الكبير] ، وروى الطبراني ، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً :[أحسنوا الأصوات في القرآن] كما في [الفتح الكبير] ، وروى الخطيب ، عن معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعاً :[إن الله تعالى لا يأذن – أي : لا يستمع – لشيء من أهل الأرض إلا لأذان المؤذنين ، والصوت الحسن بالقرآن]

وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي :[لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود]متفق عليه
وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً] رواه الدارمي ، وعن أبي لبابة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[ليس منا من لم يغنّ بالقرآن] رواه أبو داود ، وقيل لابن أبي مليكة : أرأيت إن لم يكن حسن الصوت ؟ قال : يحسّنه ما استطاع .
قال في : [التبيان] : قال العلماء رحمهم الله تعالى : فيستحب تحسين الصوت بالقراءة ، وترتيبها ، ما لم يخرج عن حدّ القراءة ، بالتمطيط ، فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام اهـ

استحباب طلب القراءة الطيبة والاستماع إليها

قال الإمام النووي : اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون – وهذا متفق على استحبابه ، وهو عادة الأخيار المتعبدين وعباد الله تعالى الصالحين ، وهو سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
فقد صح عن عبد الله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اقرأ عليَّ القرآن] فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال : [إني أحب أن أسمع من غيري] فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } قال صلى الله عليه وآله وسلم : [حسبك الآن] فالتفتُّ فإذا عيناه تذرفان صلى الله عليه وآله وسلم .
وقد استمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه عدة مرات ، وإلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وإلى سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه وغيرهم ، ففي :[المسند] وغيره ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتاه بين أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، وعبد الله بن مسعود يصلي ، فافتتح النساء فسَحلها – أي : قرأها كلها متصلة - .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[ومن أحبّ أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد] يعني : ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، ثم تقدم ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فسأل – أي : دعا الله تعالى – فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[سل تعطه ، سل تعطه]

فقال فيما سأل : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى الجنة جنة الخلد .
فأتى عمر رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليبشّره بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[سل تعطه] فوجد أبا بكر رضي الله عنه قد سبقه . فقال : أنَّى فعلتَ ! لقد كنت يا أبا بكر سباقاً للخير .
وفي رواية فقال عمر رضي الله عنه : ما بادرني أبو بكر رضي الله عنه إلى شيء إلا سبقني إليه .
فسألاه عن قوله – أي : عما دعا – فقال ابن مسعود رضي الله عنه : من دعائي الذي لا أكاد أدع : - أي : لا أكاد أتركه – اللهم إني أسألك نعيماً لا يبيد ، وقرة عين لا تنفد ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أعلى الجنة جنة الخلد .
وأنا عبد الله أقول : اللهم إني أسألك ما سألك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فأعطني كما أعطيته سؤله ، إنك سميع الدعاء .
وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[ما حَبسَكِ يا عائشة] ؟ قالت : يا رسول الله إن في المسجد رجلاً ما رأيت أحداً أحسن قراءة منه . قالت : فذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك] رواه ابن ماجه وأحمد وغيرهما .
وقال أنس رضي الله عنه :[ما بعث الله نبياً قط إلا حسَن الوجه حسَن الصوت ، وكان نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً] رواه الترمذي .
وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتفقد أصحابه في الليل ويستمع إلى قراءتهم : فقد روى الشيخان ، عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالليل حين يدخل الليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن في الليل ، وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار]
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله صلى الله عليه،وآله وسلم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال : [ألا إن كلكم مناج ربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضاً ، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة – أو قال - : في الصلاة] رواه أبو داود وغيرهما .

وعن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر رضي الله تعالى عنه يصلي يخفض من صوته – أي : بالقراءة – ومرّ بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يصلي رافعاً – صوته بالقراءة – فلما اجتمعا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :[يا أبا بكر مررت وأنت تصلي تخفض صوتك] ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : قد أسمعت من ناجيت يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ارفع من صوتك شيئاً] كما في رواية –
وقال لعمر رضي الله عنه :[مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك] ؟ فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله : أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان . فقال له صلى الله عليه وآله وسلم :[اخفض شيئاً] وفي رواية لأبي داود قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة] ؟
فقال بلال رضي الله عنه : كلام طيب يجمع الله بعضه إلى بعض .فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[كلكم قد أصاب] رواه أبو داود والترمذي

تنوير المجالس بالقرآن الكريم

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اجتمعوا أمروا قارئاً يقرأ القرآن ، فيفتتحون مجالسهم بتلاوة القرآن الكريم ، مستنيرين بأنواره ، ومستفيضين من أسراره ، ومتبركين ببركاته .
قال تعالى :{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }
روى الحاكم في :[المستدرك] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرؤوا سورة ، وروى الدارمي وغيره ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه : ذكّرنا ربنا يا أبا موسى – فيقرأ عنده القرآن .
وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يأمر في بعض الأحيان عقبة بن عامر رضي الله عنه أن يقرأ عليه وعلى أصحابه القرآن .
وفي هذا كله دليل على اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بتلاوة القرآن الكريم وتعظيمهم له ، وعلى حرصهم الشديد أن تفتتح مجالسهم واحتفالاتهم واجتماعاتهم بتلاوة آيٍ من الذكر الحكيم ، روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلست في عصابة – أي جماعة – من ضعفاء المهاجرين ، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري ، وقارئ يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا .

فلما قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – أي : وقف مشرفاً علينا – سكت القارئ . فسلَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :[ما كنتم تصنعون] ؟ قلنا : نستمع إلى كتاب الله تعالى .
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الحمد لهى الذي جعل من أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم] فجلس وسطنا ليعدل نفسه فينا ، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم بيده هكذا – أي أشار إليهم أن يلتفوا حوله – فتحلَّقوا ، وبرزت وجوههم له فقال :[أبشروا يا صعاليك المهاجرين – أي : يا فقراء المهاجرين – بالنور التامّ يوم القيامة ، تدخلون الجنة قبل الناس بنصف يوم ، وذلك خمسمائة سنة]
قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : وينبغي للقارئ في هذه المواطن – أي : المجالس – أن يقرأ ما يليق بالمجلس ويناسبه ، وأن تكون قراءته من آيات الرجاء والخوف ، والمواعظ ، والتزهيد في الدنيا ، والترغيب في الآخرة ، والتأهيب لها ، وقِصر الأمل ، ومكارم الأخلاق . اهـ

فضل الاستماع إلى تلاوة القرآن الكريم

روى الإمام أحمد في :[مسنده] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من استمع إلى آية من كتاب الله كُتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة]
وفي :[مسند الفردوس] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً : [الداعي والمؤمّن شريكان في الأجر ، والقارئ والمستمع في الأجر شريكان ، والعالم والمتعلِّم في الأجر شريكان]

وقد تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره أن يقرأ عليه القرآن وقال له :[إني أحبُّ أن أسمعه من غيري]
وقد استمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قراءة ابن مسعود رضي الله عنه عدة مرات ، واستمع إلى قراءة أبي موسى الأشعري وإلى سالم مولى أبي حذيفة وغيرهم ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – كما تقدم .

آداب ومطالب الاستماع لتلاوة القرآن الكريم

قال الله تعالى : {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }
فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاستماع للقارئ ، والأمر يقتضي الوجوب ما لم يصرفه عنه صارف .

قال في :[رد المحتار] : لأن الآية – يعني قوله تعالى : { فَاسْتَمِعُوا لَهُ } – وإن كانت واردة في الصلاة ، فالعبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب – ثم هذا حيث لا عذر ، ولذا قال في [القُنية] : صبي يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل : يعذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة ، وإلا – أي : وإن افتتحوا العمل بعد القراءة – لا يعذرون في ترك الاستماع ، وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن .

وفي :[الفتح] عن :[الخلاصة] رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن فلا يمكنه استماع القرآن : فالإثم على القارئ ، وعلى هذا : لو قرأ على السطح والناس نيام يأثم اهـ ، أي : لأنه يكون سبباً لإعراضهم عن استماعه، أو لأنه يؤذيهم بإيقاظهم – تأمل !

وفي :[شرح المنية] : والأصل أن الاستماع للقرآن فرض كفاية لأنه لإقامة حقه ، بأن يكون ملتفتاً إليه غير مضيع ، وذلك يحصل بإنصات البعض ، كما في رد السلام – حين كان لرعاية حق المسلم : كفى فيه البعض عن الكل ، إلا أنه يجب على القارئ احترامه بأن لا يقرأ في الأسواق ومواضع الاشتغال ، فإذا قرأه فيها كان هو المضيّع لحرمته ، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال – دفعاً للحرج - .

ثم قال في :[رد المحتار] : ونقل الحموي عن أستاذ قاضي القضاة يحيى الشهير بمُنقاري زاده ، أن له رسالة حقق فيها أن استماع القرآن فرض عين اهـ [رد المحتار]

ومن هنا تبين حكم استماع القرآن الكريم عند السادة الحنفية ، وأما عند السادة الشافعية فالاستماع للقراءة سنة .

ومن مطالب الاستماع للقارئ : الإنصات ، والخشوع ، والبكاء .

قال الله تعالى :{ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن الله تعالى يحب الصمت – أي : السكوت – عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة] رواه الطبراني وأبو يعلى .

قال الحافظ الهيثمي : فيه رجل لم يسمَّ اهـ

والمراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم :[عند الزحف] عند التقاء الصفوف للقتال جهاداً في سبيل الله تعالى ، فإنّ الصمت أهيب وأرهبُ .

[وعند الجنازة]: المراد به عند المشي معها ، والغسل والصلاة عليها ، وليكثر من قول : لا إله إلا الله سراً ، كما جاء في الحديث .

وروى عبد الرزاق في : [جامعه] عن يحيى بن أبي كثير مرسلاً ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[إن الله تعالى كره لكم ثلاثاً : اللغو عند القرآن ، ورفع الصوت في الدعاء ، والتخصُّر في الصلاة]
فينبغي للمسلم أن يستمع للقرآن وينصت لعلّ الله تعالى يرحمه بذلك ، لأنه بالاستماع والإنصات يكون قد تعرّض لرحمة الله تعالى ، ومن تعرض لرحمة الله تعالى ناله منها نصيب ، ومن أعرض عن ذلك فقد حرم نفسه ، قال تعالى : { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } فاعتبر وتدبر هذه الآية الكريمة ، فإن القرآن إذا قرئ تنزلت السكينة والرحمة الإلهية ، وفُتحت أبواب السماء .
روى الطبراني في :[الأوسط] عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[تفتح أبواب السماء لخمس : لقراءة القرآن ، وللقاء الزحفين – أي : الصفّين : صفّ المسلمين وصفّ الكافرين – ولنزول القطر ، ولدعوة المظلوم ، وللأذان] كما في [الفتح الكبير] وأصله .

فضل تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه

روى البخاري ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :[خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه] وفي رواية :[إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه] وروى ابن ماجه ، عن سعد رضي الله عنه ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[خياركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه] وفي هذه الأحاديث جواب لمن يسأل عن أفضل علم ، وأفضل متعلِّم ، وأفضل معلِّم . ويدل على ذلك رواية البيهقي :[إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه] وروى الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[تعلَّموا القرآن ، واقرؤوه وارقدوا ، فإن مثل القرآن لمن تعلَّمه فقرأه وقام به – أي : في الليل – كمثل جِراب محشوٍّ مسكاً يفوح ريحه كل مكان ، ومثل من تعلَّمه فيرقد وهو في جوفه كمثل جِراب أوكئ على مسك] أي : ملئ مسكاً وربط عليه .
وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا أبا ذر لأن تغدو فتعلَّم – أي: تتعلم – آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلَّم باباً من العلم عُمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة] [٥٢]

[٥٢] قال المنذري في :[الترغيب] رواه ابن ماجه بإسناد حسن اهـ

وروى الإمام أحمد في :[مسنده] عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[تعلَّموا كتاب الله وتعاهدوه ، وتغنَّوا به ، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفلتاً من المخاض في العقل]
فلقد حثَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته على تعلُّم القرآن ، وتعليمه ، وتعاهده خشية النسيان ، فإنه أشد تفلتاً من الإبل المخاض المربوطة بعقلها – أي : أزِّمتها .

الحث على تعليم الأولاد الصغار قراءة القرآن الكريم

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام ، فينشؤون على الفطرة ، ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة ، قبل تمكُّن الأهواء منها ، وسوادها بأكدار المعصية والضلال .
قال رحمه الله تعالى : وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشترط على وفود الأعراب بعد إسلامهم – قراءة القرآن بينهم ، وتعليمهم أمر الدين ، وإقامة المؤذنين اهـ ، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضل الذي يعلّم ولده القرآن ، جاء ذلك في كثير من الأحاديث ، نذكر أطرافها :
عن بريدة رضي الله عنه قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول :[تعلَّموا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة] – أي : السحرة – ثم سكت صلى الله عليه وآله وسلم ساعة ثم قال :[تعلَّموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان [٥٣] يظلان صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان ، أو غيايتان ، أو فرقان من طير صواف ، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره ، كالرجل الشاحب [٥٤] فيقول - أي القرآن لصاحبه – : هل تعرفني ؟ فيقول : ما أعرفك ؟ فيقول : أنا صاحبك القرآن ، الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك ، وإن كل تاجر وراء تجارته – أي : يطلب ربحها – وإنك اليوم من وراء كل تجارة أعظم ربحاً ، فيعطى – أي : صاحب القرآن – المُلك بيمينه والخُلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، ويكسى والداه حلَّتين لا تقوم لهما – أي : لا تقدَّر بهما – الدنيا . فيقولان : بم كُسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن]
وفي رواية الطبراني :[بتعلم ولدكما القرآن ، ثم يقال – أي : للقارئ - : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها – فهو في صعود ما دام يقرأ : هذاً

---

[٥٣] تثنية : زهراء ، وهي : المنيرة بالنور الوضاء ، ومنه : نجم الزهراء .
[٥٤] أي : المتغير اللون والجسم بعارض مرض أو سفر ، وإنما تمثل له قرآنه بذلك تشبّهاً بصاحبه في الدنيا حين كان يتعب نفسه بقيام الليل بالقرآن ، وصيام النهار ، وذلك أرجى في مقام الشفاعة به عند الله تعالى .

كان أو ترتيلاً] قال الحافظ الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، روى ابن ماجه طرفاً منه .
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ما من رجل يعلِّم ولده القرآن في الدنيا : إلا تُوّج أبوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة ، بتعليم ولده القرآن في الدنيا] رواه الطبراني على ضعف فيه . وروى الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ القرآن وتعلَّمه وعمل به ، ألبس والداه يوم القيامة تاجاً من نور ضوؤه مثل ضوء الشمس ، ويكسى والداه حلّتين لا تقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بمَ كُسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن]
وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [من علَّم ابنه القرآن نظراً – أي : في المصحف – غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن علَّمه إياه ظاهراً – أي : عن ظهر قلب – بعثه الله تعالى يوم القيامة على صورة القمر ليلة البدر ، ويقال لابنه : اقرأ فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الأب بها درجة ، حتى ينتهي إلى آخر ما معه من القرآن][٥٥] ، وعن أمير المؤمنين علي كرّم الله تعالى وجهه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حُبِّ نبيكم ، وحُبِّ أهل بيته ، وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظلّ الله تعالى يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، مع أنبيائه وأصفيائه] [٥٦]
فينبغي لوليّ الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر ، وذلك لأجل أن يتوجّها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربُّهم ، وأن هذا كلامه تعالى ، ولأجل أن تسري روح القرآن في قلوبهم ، ويشرق نوره في عقولهم وأفكارهم ومداركهم وحواسّهم ، ولأجل أن يتلقنا عقائد القرآن منذ الصغر ، وأن ينشأا ويشبّا على محبة القرآن والتعلق والتعشّق به ، والائتمار بأوامره ، والانتهاء عن مناهيه ، والتخلق بأخلاقه ، والسير على منهاجه ، ولأن التعلُّم في حال الصغر هو أرسخ في الحافظة ، وأبقى في الذاكرة ، وأوقع في القلب ، وأشد انطباعاً في النفس .

عناية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم القرآن الكريم ونشره

روى الإمام أحمد ، عن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال : حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أنهم كانوا يقترئون من رسول

---

[٥٥] رواه الطبراني ، قال الهيثمي : وفيه من لم أعرفه
[٥٦] رواه الديلمي ، وابن النجار ، على ضعف في سنده

الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه العشر من العلم والعمل . قالوا : فعلمنا العلم والعمل
وروى محمد بن نصر ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : كنا إذا تعلَّمنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشراً من القرآن ، لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعلم ما نزل في هذه من العمل .
وهذا دليل على أنهم كانوا يهتمون بفهم معاني القرآن وتحقيقه عملاً .
وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه في بيعة العقبة الثانية ، إلى المدينة المنورة ليعلم الأنصار القرآن ويفقههم في الدين ، فنزل على أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان يُسمى المقرئ والقارئ . وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه قاضياً إلى اليمن : يعلِّم الناس القرآن ، وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، واستعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن حزم الخزرجي النَّجاري رضي الله عنه على نجران ليفقههم في الدين ، ويعلمهم القرآن ، ويأخذ الصدقات منهم – كما ذكر ذلك في :[الاستيعاب]
وكانت صُفَّة المسجد النبوي مدرسةً للقرآن ، يأوي إليها فقراء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، ممن لا أهل لهم ، يتدارسون القرآن ويتعلمونه ، ثم يذهبون في نواحي البلاد فيعلمونه الناس .
وقد كان جماعة من الصحابة نصبوا أنفسهم للإقراء في المدينة بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى امتلأت المدينة بالقرّاء .
وكان لمعاذ بن جبل رضي الله عنه ثم ابن عباس رضي الله عنهما عناية بتعليم القرآن ، ونشر علومه لأناس كثيرين لا يحصيهم العدُّ في مكة المكرمة ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يجلس في مجلس الكوفة فيعلِّم الناس القراءة ، حتى بلغ عدد الثقات الذين أخذوا عنه القراءة مباشرة أو بواسطة ما يقرب من نحو أربعة آلاف قارئ .
وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه نصب نفسه لتعليم القرآن في مسجد البصرة ، قال أبو رجاء : فكان يقعدنا حِلقاً حِلقاً يقرئنا القرآن .
وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن كلّ يوم في جامع دمشق من طلوع الشمس إلى الظهر ، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة ، ويعين لكل عشرة عريفاً يعلمهم القرآن ، وهو يشرف على الجميع ، ويرجعون إليه إذا غلطوا في شيء – كما ورد ذلك في : [تاريخ] ابن عساكر .
وكان الإمام المقرئ ابن عامر في دمشق له أربعمائة عريف ، يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه – جزاهم الله تعالى خيراً .

اتِّخاذ المسلم ورداً من تلاوة القرآن الكريم

ينبغي للمسلم أن يتّخذ لنفسه ورداً من تلاوة القرآن الكريم كل يوم وليلة ، مع التدبر ، والترتيل ، والحضور والخشوع والأدب ، وليحذر كل الحذر من هجر التلاوة والإعراض عنها ، مخافة أن يناله وعيد من قوله تعالى :
{ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا }
وذلك أن بعض الناس من هجر الإيمان بالقرآن ، ومنهم من هجر العمل به وبأحكامه وأوامره ، ومنهم من هجر تلاوته .
ودليل سنّية اتخاذ ورد من القرآن ، يقرأ فيه أجزاء حسب سعته ونشاطه دون ملل ولا كسل ، دليل ذلك ما رواه أبو داود عن ابن الهادِ قال : سألني نافع بن جبير بن مطعم فقال لي : في كم تقرأ القرآن ؟ فقلت : ما أحزِّبُه ؟ فقال لي نافع : لا تقل ما أحزبه ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[قرأت جزءاً من القرآن] قال حسبت أنه ذكره عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وفد ثقيف ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتينا كل ليلة بعد العشاء يحدثنا ، قال : فلما كانت ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلنا : يا رسول الله لقد أبطأت عنا الليلة ؟ فقال : [إنه طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن ، فكرهت أن أجيء حتى أتمَّه]
قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يحزِّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصَّل .
والمراد ثلاث سور هي من أول سورة البقرة إلى آخر النساء ، وخمس سور من أول سورة المائدة إلى آخر سورة التوبة ، وسبع سور من أول سورة يونس إلى آخر سورة النحل ، وتسع سور من أول سورة الإسراء إلى نهاية سورة الفرقان ، وإحدى عشرة سورة هي من أول سورة الشعراء حتى آخر سورة يسن ، وثلاث عشرة سورة من أول سورة الصافات إلى آخر سورة الحجرات ، والمفصَّل عبارة عن السُبُع الأخير ، وهو على ثلاثة أقسام : طوال وأوساط وقصار – كما هو مفصل في كتب الفقه .
وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما :[اقرأ القرآن في كل شهر] قال عبد الله : فإني أطيق أفضل من ذلك .
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فاقرأه في عشر]
قال عبد الله : فإني أطيق أفضل من ذلك ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :
[فاقرأه في كل سبع ليال ولا تزد على ذلك]

وهذا النهي ليس للتحريم ، وإنما هو للإرشاد والإسعاد ، فقد جاء في رواية هشيم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : [اقرأه في كل ثلاث] [٥٧]

عادات السلف الصالح في ختم القرآن الكريم

قال الإمام النووي : كان السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه : فروي عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة ، وعن بعضهم في كل شهر ختمة ، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة ، وعن بعضهم في كل ثمان ليال ، وعن الأكثرين في كل سبع ليال ، وعن بعضهم في كل ست ، وعن بعضهم في كل خمس ، وعن بعضهم في كل أربع ، وعن كثيرين في كل ثلاث ، وعن بعضهم في كل ليلتين ، وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة ، ومنهم من كان يختم في كل يوم وليلة ختمتين ، ومنهم من كان يختم ثلاثاً ، وختم بعضهم ثماني ختمات : أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار .

فمن الذين يختمون ختمة كل يوم وليلة : سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ، وتميم الداري رضي الله عنه ، وسعيد بن جبير ، والإمام الشافعي وغيرهم ، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بابن له فقال : يا رسول الله إن ابني هذا يقرأ المصحف بالنهار ويبيت بالليل ! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
[أما تنقِم أن ابنك يظلُّ ذاكراً ويبيت سالماً]؟ رواه أحمد بسند حسن

ومن الذين كانوا يختمون كل يوم وليلة ثلاث ختمات : سليم بن عتر قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله تعالى عنهم ، وروي أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات ، وكان ابن الكاتب يختم في النهار أربع ختمات ، وفي الليل أربع ختمات . قال الإمام النووي : وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم والليلة وروى السيد الجليل أحمد الدروقي ، بإسناده عن منصور بن زاذان – من عُبَّاد التابعين – أنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ، ويختمه

---

[٥٧] قال الحافظ ابن حجر : وله شاهد عند سعيد ابن منصور في [سننه] بإسناد صحيح من وجه آخر عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه [اقرؤوا القرآن في سبع ولا تقرؤوه في أقل من ثلاث] ولأبي عبيد من طريق الطيب بن سلمان ، عن عمرة عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يختم في أقل من ثلاث .

قال الحافظ : وهذا اختيار أحمد ، وأبي عبيد ، وإسحق ابن راهويه ، وغيرهم ، وثبت عن كثيرين من السلف أنهم قرؤوا القرآن في أقل من ثلاث .

أيضاً بين المغرب والعشاء في رمضان ، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل . رواه أيضاً في [الحلية]
وروى أبو داود بإسناد الصحيح ، أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وكان علي الأزدي : يختم فيما بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان ، وعن إبراهيم بن سعد : كان أبي يحتبي فيما يحُلُّ حبوته حتى يختم القرآن .
وأما الذين يختمون في ركعة فلا يُحصون لكثرتهم : فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم .
ونقل الحافظ محمد بن نصر المروزي : أن ثابتاً البناني كان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة، ويصوم الدهر ، وقال حُميد الطويل : ما ترك ثابت البناني في المسجد سارية – أي : عموداً - إلا وقد ختم عندها القرآن في صلاة ، وما سار في حاجة إلا كان أول ما يقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ثم يتكلم بحاجته .
وكان أبو حمزة : يختم القرآن كل يوم وليلة ، ويصلي ما بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء ، وكان يصوم الدهر .
وخرج صالح بن كيسان إلى الحج فربما ختم القرآن مرتين في ليلة واحدة بين طرفي رحله . وجاء في [تذكرة الحفاظ] أن أبا بكر بن عياش المقرئ لم يضع جنبه – أي : للنوم على الأرض – أربعين سنة ، ولما حضرته الوفاة بكت أخته . فقال لها : انظري إلى تلك الزاوية ، ختمت فيها ثماني عشر ألف ختمة – أي وهذا سوى ما ختمه في سائر الأماكن .
وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : كان أبي يقرأ في كل أسبوع ختمتين : إحداهما في الليل والأخرى في النهار .
قال القاضي أبو يعلى : وقد ختم إمامنا أحمد بن حنبل القرآن في ليلة واحدة بمكة مصلياً به . ولو أننا تتبعنا ما كان عليه سلف الأمة من الاهتمام بالقرآن الكريم والاستكثار منه ، لعجز القلم عن استقصاء ذلك .

استحباب المواظبة على ورد من القرآن في جوف الليل

قال الله تعالى :{ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ }
ينبغي للمؤمن أن يكون له ورد من القرآن الكريم يقوم به في الليل ، والأفضل أن يقوم به في صلاته من الليل .
قال الإمام النووي : واعلم أن فضيلة قيام الليل ، والقراءة فيه تحصل بالقليل والكثير ، وكلما كثر كان أفضل ، إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يُكره الدوام عليه ، وإلا أن يُضر بنفسه .

وما يدل على حصوله بالقليل حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [من قام بعشر آياتٍ لم يُكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين] رواه أبو داود .

وعن تميم الداري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من قرأ عشر آياتٍ في ليلة كُتب له قنطار ، والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل : اقرأ وارق بكل آية درجة ، حتى ينتهي إلى آخر آية معه . يقول الله عز وجل للعبد : اقبِضْ .

فيقول العبد بيده : يا رب أنت أعلم . يقول : بهذه اليدِ الخُلدُ وبهذه – اليدِ – النعيم] رواه الطبراني بإسناد حسن كما في : [ترغيب] المنذري .

وعن ابن عمر رضي الهي تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لا حسد إلا في اثنتين – أي : لا يُغبط العبد إلا في خصلتين - : رجل آتاه الله هذا الكتاب – وفي رواية : [علَّمه الله القرآن] – فقام به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله مالاً فتصدّق به آناء الليل وآناء النهار] رواه البخاري ومسلم .

وكانت بيوت السلف الصالح تدوي بقراءة القرآن الكريم من كبيرهم وصغيرهم ، ورجالهم ونسائهم ، في سائر السنة عامة ، وفي شهر رمضان خاصة : ليل نهار .

قال أبو الأحوص : إنه كان الرجل من الصحابة رضي الله عنهم ليطرق الفسطاط ليلاً فيسمع لهم دوياً كدوي النحل ، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون ! ! وقالت أم هانئ رضي الله عنها : كنت أسمع قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الليل وأنا على عريش أهلي .

وقال أبو الزناد : كنت أخرج من السّحر إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا أمرُّ ببيت إلا وفيه قارئ ، وكنا ونحن فتيان نريد أن نخرج لحاجة ، فنقول : موعدكم قيام القرّاء . وقال أحمد بن أبي الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظر فيه آية آية ، فيتحير عقلي وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ، أو يسعُهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله تعالى ؟. أما إنهم لو فهموا ما يقرؤون وعرفوا حقه ، وتلذذوا به ، واستحْلَوْا المناجات به : لذهب عنهم النوم بما قد رُزقوا .

وأنشد ذو النون المصري رضي الله عنه :

منع القرآن بوعده ووعيده   مُقل العيون فليلها لا تهجع
فهموا عن الملك الجليل كلامه   فهماً تذِّل له الرقابُ وتخضع

حكم من نام عن ورده

عن عمر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من نام عن حِزبه من الليل ، أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر : كُتب له كأنما قرأه من الليل] رواه مسلم .

ينبغي الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان

قال الله تعالى :{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ } الآية .

أنزل الله تعالى هذا القرآن جملةً إلى السماء الدنيا في بيت العزة وبدأ تنزيله تدريجاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان الذي هو سيِّد الشهور وأفضلها ، وكان هذا الإنزال وهذا التنزيل في أفضل ليلة من الشهر ، وهي ليلة القدر ، ذات المقدار والفضل كما وصفها سبحانه : { لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ } يعني : أن العمل الصالح فيها خير من ألف شهر ، ووافقتها أيضاً معاً ليلة التقدير والفضل كما وصفها سبحانه بقوله :{ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ } الآيات .

فما أعظمها من ليلة وما أشرفها ؟! وقد ورد في الحديث : أن الكتب الإلهية أنزلت في شهر رمضان ، ولكن القرآن خُصَّ بنزوله في أفضل ليلة منه .

روى الإمام أحمد بسند حسن ، عن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لستٍّ مضَينَ من رمضان ، والإنجيل لثلاث عشر خلت من رمضان ، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان] ورواه البيهقي أيضاً في :[الشعب] .

وقد استدل بهذا الحديث كثير من الصحابة والتابعين على أن ليلة القدر هي ليلة أربع وعشرين – نعم قد تكون كذلك وقد تتنقَّل في العشر الأخير .

فشهر رمضان هو ظرف تنزُّلات القرآن الكريم ، وجمع هذا الظرف من الأسرار والأنوار القرآنية ما لا يجمعه أيُّ شهر سواه .

ذلك لأن أسرار التنزيلات القرآنية ، وأنوار التجلِّيات الربانية لها آثارها الثابتة المنصبغة في أوانها وأوانيها ، وظروفها الزمانية والمكانية ، فجدير بالمؤمن أن يُكثر في شهر رمضان من تلاوة القرآن ، لعلَّه ينصبغ بتلك الأنوار ، وينغمس في بحر تلك الأسرار .

جاء في :[الصحيحين] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :[كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل عليه السلام ، وكان – أي : جبريل عليه السلام –

يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارِسُه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسَلة] [٥٨]
وكان صلى الله عليه وآله وسلم يطيل القراءة في قيام رمضان ليلاً أكثر من غيره : كما روى الإمام أحمد ، عن حذيفة رضي الله تعالى عنه أنه قال :
[أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة من رمضان فقام يصلي فلما كبّر قال :[اللهم ذو الملك والملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة] ثم قرأ البقرة ، ثم آل عمران ، ثم النساء ، ولا يمر بآية تخويفٍ إلا وقف عندها] الحديث ، وأمر عمر رضي الله تعالى عنه أبيَّ بن كعب وتميماً الداري رضي الله عنهما أن يقوما بالناس في رمضان ، فكان القارئ منهما يقرأ بالمئتين في الركعة الواحدة ، وما كانوا ينصرفون من قيام رمضان – أي : صلاة التراويح – إلا آخر الليل لإدراك السحور .
وقد كان من السلف الصالح من يختم في صلاة التراويح في كل ثلاث ليال ختمة ، ومنهم من يختم فيها كل سبع ، ومنهم كل عشر .
قال العلامة ابن حجر الهيتمي : وكان للشافعي رضي الله عنه في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة ، وعن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه مثل ذلك أيضاً ، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال : إنما هو تلاوة قرآن وإطعام الطعام ، وكان الإمام مالك رضي الله تعالى عنه إذا دخل رمضان يمسك عن قراءة الحديث ، ومجالسة أهل العلم ، ويقبل على تلاوة القرآن الكريم في المصحف . وكان النووي : يترك جميع العبادة – أي : نوافله المعتادة له – ويقبل على تلاوة القرآن اهـ
فمن كان بين رمضان بين قيام الليل وصوم النهار وفِّي أجره بغير حساب ، ونال شفاعة الصيام والقرآن ، كما ورد في :[المسند] وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال :[الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة : يقول الصيام : أي ربِّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفّعني فيه .
ويقول القرآن : منعته النوم باليل فشفعني فيه – فيشفّعان فيه]

---

[٥٨] قال العلامة الطيبي : في هذا الحديث تخصيص بعد تخصيص على سبيل الترقي : فضّل أولاً جوده صلى الله عليه وآله وسلم مطلقاً على جود الناس كلهم ، ثم فضّل ثانياً : جود كونه في رمضان على جوده في سائر أوقاته ، ثم فضّل ثالثاً : جوده صلى الله عليه وآله وسلم في ليالي رمضان عند لقاء جبريل عليه السلام ، على جوده في رمضان مطلقاً ، ثم شبه جوده صلى الله عليه وآله وسلم بالريح المرسلة اهـ .
أي : فإن الريح المرسلة تعمُّ البقاع والرقاع ، والضواحي وجميع النواحي ، فجوده صلى الله عليه وآله وسلم أعمُّ نفعاً ، وأشمل جمعاً للأرواح والأشباح ، والدنيا والآخرة .

وقد استحسن جماعة من السلف الصالح تلاوة سورة الفتح : { إنا فتحنا لك } في أول ليلة من رمضان استفتاحاً لأبواب الخير ، واستنزالاً للبركة والرحمة ، وروى الحافظ السلفي بإسناده عن المسعودي أنه قال : بلغني أن من قرأ أول ليلة من رمضان { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً } في التطوع – أي : صلاة النافلة – حفظ ذلك العام .

استحباب القراءة في جوف الليل جهراً ما لم يُؤذ غيره

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [ما أذِن الله تعالى – أي : ما استمع – لشيء ما أذِنَ لعبد يقرأ القرآن في جوف الليل] الحديث رواه الترمذي .

والمراد أن الله تعالى يستمع لقراءة الليل استماعاً خاصاً .

وروى الترمذي ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ثلاثة يحبهُّم الله عز وجل : رجل قام من الليل يتلو كتاب الله ، ورجل تصدق صدقة بيمينه يخفيها عن شماله ، ورجل كان في سرية فانهزم أصحابه فاستقبل العدو]

آداب ختم القرآن الكريم

ذكر أئمة القراء والعلماء بالقراءات آداباً متعددة مطلوبة عند ختم القرآن الكريم فمن ذلك : التكبير : كما بين ذلك إمام القرّاء الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى في :[تقريب النشر] ، وهو في الأصل سنّة التكبير عند ختم القرآن العظيم عامة ، وشاع ذلك عنهم – أي : عن أئمة القراءات – واستفاض وتواتر ، وتلقاه الناس عنهم بالقبول ، حتى صار العمل عليه في سائر الأمصار ، ولهم في ذلك أحاديث وردت مرفوعة وموقوفة .

ثم روى بإسناده عن أحمد بن أبي بزَّة – يعني : البِزِّي – قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن عبد الله ابن قسطنطين ، فلما بلغت { والضحى } قال لي : كبر حتى تختم فإني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت { والضحى } قال : كبر حتى تختم ، وأخبره أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنهما أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس رضي الله عنهما أن أبيَّ بن كعب رضي الله عنه أمره بذلك ، وأخبره أبيُّ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره بذلك . ثم قال رحمه الله تعالى : ورواه الحاكم في [مستدركه] الصحيح عن أبي يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد الإمام بمكة ، عن محمد بن علي بن زيد الصائغ عن البزِّي قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه البخاري ومسلم .

قلت – القائل هو : الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى - : لم يرفع أحد حديث التكبير إلا البزِّي ، وسائر الناس رووه موقوفاً على ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغيرهما .
قال رحمه الله تعالى : وروي عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : إن تركتَ التكبير فقد تركتَ سنة من سنن نبيك عليه الصلاة والسلام .
قال شيخنا الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وهذا يقتضي تصحيحه لهذا الحديث اهـ ، ثم بيَّن الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى أن لفظ التكبير هو : الله أكبر ، ونقل عن جماعة زيادة التهليل قبله ، وذلك بأن تقول : لا إله إلا الله والله أكبر . ونقل أيضاً عن آخرين من القرّاء زيادة التحميد ، لما روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال : (إذا قرأت القرآن فبلغت قصار المفصّل فاحمد الله وكبّر) وجميع ذلك قبل البسملة ، كما نصّ على ذلك في :[تقريب النشر] فيكون ترتيب ذلك : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولله الحمد ، بسم الله الرحمن الرحيم ، ومحل التكبير من آخر سورة { والضحى } إلى آخر سورة الناس ، وقيل من أول سورة { والضحى } إلى أول سورة الناس ، كما أنه يسن للقارئ إذا ختم أن يقرأ : الفاتحة وأول سورة البقرة إلى { هم المفلحون } وذلك لما تقدم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل : أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[الحالُّ المرتحل] ثم بيَّن ذلك بقوله :
[الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلَّ ارتحل]

ومن آداب ختم القرآن الكريم أن يكون أول النهار أو أول الليل

قال في :[الإتقان] : الأفضل – للقارئ – أن يختم أول النهار أو أول الليل ، لما رواه الدارمي بسند حسن ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال :[إذا وافق ختم القرآن أول الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يصبح ، وإن وافق ختمه أول النهار صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي] [٥٩]
قال في [الإحياء] : ويكون الختم أول النهار في ركعتي الفجر ، وأول الليل في ركعتي سنة المغرب اهـ يعني هذا في الختمة التي يقرؤها في صلواته ، وقال ابن المبارك رحمه الله تعالى : يستحب الختم في الشتاء أول الليل ، وفي الصيف أول النهار اهـ
ويعني بذلك امتدادات صلوات الملائكة بامتداد الليل والنهار .
وفي كتاب :[الرعاية] : قال مجاهد : من ختم القرآن نهاراً وكِّل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى يصبح اهـ .

[٥٩] ومثل هذا لا يدرك بالرأي فله حكم المرفوع، كما هو مقرر في موضعه ، وقد جاء مرفوعاً من طريق أبي نعيم في :[الحلية] كما في [الفتح الكبير]

وروى الديلمي في :[الفردوس] عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً :[إذا ختم العبد القرآن صلى عليه عند ختمه ستون ألف ملك]
ويستحب صيام يوم الختم إلا أن يصادف يوماً نهى الشرع عن صيامه ، فقد روى ابن أبي داود بإسناده الصحيح عن جماعة من التابعين أنهم كانوا يصبحون في يوم ختمهم صياماً .

استحباب حضور مجلس ختم القرآن وفضله الكبير

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ويستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً مؤكداً ، فقد ثبت في : [الصحيحين] أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الحُيَّض بالخروج يوم العيد ليشهدن الخير ودعوة المسلمين .
وروى الدارمي ، وابن أبي داود بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أنه كان يجعل رجلاً يراقب رجلاً يقرأ القرآن ، فإذا أراد أن يختم أعلم ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيشهد ذلك اهـ .
وأخرج الطبراني بإسناد الثقات عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا ، وعن الحكم بن عتيبة قال : أرسل إليّ مجاهد وعَبدة بن أبي لبابة فقالا : إنا أرسلنا إليك لأنا أردنا أن نختم القرآن ، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن ، وإنه كان يقال : إن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن ، وقال مجاهد : كانوا يجتمعون عند ختم القرآن يقولون : تنزل الرحمة .

استحباب الدعاء عند الختم لأنه مجاب

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى : ويستحب الدعاء عقب الختم استحباباً متأكداً . وروى الدارمي بإسناده عن حميد الأعرج قال : من قرأ القرآن ثم دعا أمّن على دعائه أربعة آلاف ملك .
قال : وينبغي أن يُلحَّ في الدعاء ، وأن يدعو بالأمور المهمة ، وأن يكثر في ذلك في صلاح المسلمين اهـ .
وروى الطبراني عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من صلَّى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة ، ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة] [٦٠]
وروى الخطيب ، عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[إن لصاحب القرآن عند ختمه دعوة مستجابة ، وشجرة في الجنة لو أن غراباً طار من أصلها لم ينته إلى فرعها حتى يدركه الهرم]
وروى ابن مردويه ، عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[إن لقارئ القرآن دعوة مستجابة ، فإن شاء صاحبها تعجَّلها في الدنيا ، وإن شاء

[٦٠] انظر [الجامع الصغير] .

أخّرها إلى الآخرة] [٦١] ، وفي[شعب] البيهقي من حديث أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[من قرأ القرآن وحمد الربَّ ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، واستغفر ربه : فقد طلب الخير من مكانه]
قال في :[الإتقان] بعدما أورد هذا الحديث :
ويسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في ختمة أخرى عقب الختم – الأول – لحديث الترمذي لما سئل أيُّ الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : [أحب الأعمال إلى الله تعالى الحالُّ المرتحل]
قيل : وما الحالُّ المرتحل ؟
قال :[الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره كلَّما حلَّ ارتحل]
وأخرج الدارمي بسند حسن ، عن ابن عباس عن أبيّ بن كعب رضي الله تعالى عنهم ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ { قل أعوذ بربِّ الناس } – أي : ختم القرآن – افتتح من الحمد ، ثم قرأ من البقرة إلى { وأولئك هم المفلحون } ثم دعا بدعاء الختمة ثم قام . اهـ من : [الإتقان]
وروى الديلمي في :[الفردوس] عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[إذا ختم أحدكم فليقل : اللهم آنس وحشتي في قبري] .
ومن الأدعية الواردة عنه صلى الله عليه وآله وسلم :[اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلِّمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله لي حجة يا رب العالمين] [٦٢]
ومن الوارد عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، ما رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ، وابن حبان ، والحاكم وغيرهم ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيَّ علمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسكَ ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمّته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك – أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني وذهاب همِّي ، إلا أذهب الله عز وجل همَّه وأبدله مكانه فرحاً] الحديث ، ويحسن الدعاء بما رواه الترمذي عن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه في الدعاء الذي تعلَّمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

[٦١] انظر ذلك في :[الفتح الكبير] وأصله .
[٦٢] قال الحافظ العراقي : رواه أبو منصور المظفر ، وأبو بكر بن الضحاك من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلاً . اهـ .

[اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني ، وارحمني أن أتكلَّف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني .
اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعزّة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك : أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علَّمتني ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني .
اللهم بديع السموات والأرض ، ذا الجلال والإكرام ، والعزَّة التي لا ترام ، أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك ونور وجهك الكريم : أن تنوِّر بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرِّج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تغسل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق غيرك ، ولا يؤتيه إلا أنت ، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] آمين .

أحكام سجدة التلاوة

قال الله تعالى :{ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا }
وقال تعالى :{ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ }
وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله – وفي رواية : يا ويلي – أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فليَ النار] رواه مسلم
وقد اختلف الأئمة في حكم سجدة التلاوة : فذهبت الحنفية إلى أنها واجبة ، واحتجوا على ذلك بالآيتين السابقتين ، حيث إنَّ الله تعالى أمر بالسجود عند قراءة القرآن في الآية الأولى ، وذمَّ في الآية الثانية وأنكر على الذين لا يسجدون إذا قرئ عليهم ، وفي ذلك دليل الوجوب .
وذهبت الأئمة الشافعية : إلى أنها سنة .
قال الإمام النووي : مذهبنا أنه – أي : سجود التلاوة – سنة وليس بواجب ، وبهذا قال جمهور العلماء ثم قال : واحتجوا على ذلك بما في [الصحيحين] عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال : قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم { والنجم } فلم يسجد فيها .
وبما في [الصحيحين] من حديث الأعرابي لما قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[خمس صلوات في اليوم والليلة]
فقال الأعرابي : هل عليَّ غيرها ؟ فقال :[لا ، إلا أن تطوّع] .
واحتجوا أيضاً بأن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل ، حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد ، وسجد الناس ،

حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأها ، حتى إذا جاء السجدة قال :[يا أيها الناس إنما نمرُّ بالسجود فمن سجد فقد أصاب ، ومن لم يسجد فلا إثم عليه] ولم يسجد عمر رضي الله تعالى عنه .
وفي رواية : قال عمر رضي الله تعالى عنه :[إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء] رواه البخاري .
وأما كيفية سجدة التلاوة : فعند الحنفية هي : سجدة بين تكبيرتين مسنونتين ، وقيامين مستحبين ، بلا رفع يد ، وبلا تشهد وسلام .
فيكبّر قائماً ، ثم يهوي إلى السجود ، ثم يكبّر وينهض قائماً .
ويشترط لها ما يشترط للصلاة من الطهارة ، واستقبال القبلة ، ونحو ذلك ما عدا التحريمة ، ونية التعيين عن آية كذا ، بل يكفي كونها عن التلاوة – وتفصيل ذلك في كتب الفقه .
وأما عند الشافعية : فهي سنة كما تقدم ويشترط لها : النية ، وتكبيرة الإحرام ، وسلام بعد الجلوس . فهي : سجدة بين تكبيرة إحرام مع النية ، وبين سلام بعد الجلوس . وأما أذكار سجدة التلاوة : فإن كانت في صلاة مفروضة قال : سبحان ربي الأعلى – ثلاثاً - .
وإن كانت في صلاة نافلة أو في غير الصلاة فله أن يأتي فوق التسبيحات بما ورد : كأن يقول " اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، سجد وجهي للذي خلقه وصوّره ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته ، تبارك الله أحسن الخالقين . ويقول : سبُّوح قدوس ، رب الملائكة والروح .
ويقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع عني بها وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود صلى الله عليه وسلم

الوصايا الإلهية ثم النبوية باتباع الكتاب والسنة والتمسك بهما

قال الله تعالى :{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } والمعنى إن كنتم ترجون رحمة الله تعالى في دنياكم وآخرتكم ، تلك الرحمة الجامعة لأنواع السعادات والخيرات والمسرّات – فعليكم باتّباع هذا الكتاب العظيم ، واتقاء مناهيه ، فبذلك تنالون : السعادة والصلاح والنجاح والفلاح . قال تعالى :{ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } فالمتمسكون بكتاب الله تعالى هم الصالحون والمصلحون ، فلا يكون الإنسان مصلحاً إلا إذا كان صالحاً ، ولا يكون صالحاً إلا أن يكون متّبعاً متمسّكاً بكتاب الله تعالى – جعلنا الله تعالى منهم .
وقال الله تعالى :{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف وداعه كلها بالتمسك بكتاب الله تعالى ، والاهتداء بنوره ، وبالتمسك بسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، والسير على منهاجها ، فقد روى الإمام مسلم ، وأحمد ، عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أنه قال : قام رسول الله صلى اله عليه وآله وسلم يوماً فينا خطيباً بما يدعى خُمّاً – أي : مكان يسمى خُمّاً بين مكة والمدينة – فحمد الله تعالى وأثنى عليه ، ووعظ وذكَّر ثم قال : [أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب – يريد بذلك وفاته صلى الله عليه وآله وسلم – وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما : كتاب الله ، فيه الهدى والنور ،فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به] فحثّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كتاب الله ورغّب فيه . ثم قال :[وأهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي] فقال رجل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته يا زيد ، أليس نساؤه صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فقال زيد : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده .
قال : ومن هم ؟ قال : هم آل عليّ ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس .
قال : كل هؤلاء حُرم الصدقة ؟ قال زيد : نعم .
وفي رواية لمسلم : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [كتاب الله فيه الهدى والنور ، من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضلّ]
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً كالمودّع فقال : [أنا محمد النبي الأمي ، أنا محمد النبي الأمي ، أنا محمد النبي الأمي ، ولا نبي بعدي ، أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ، وعلِّمت كم خزنة النار ، وحملة العرش ، وتُجوِّز بي ، وعوفيتُ وعوفيت أمتي ، فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله تعالى : أحلوا حلاله وحرِّموا حرامه] رواه أحمد وغيره . وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [من اتَّبع كتاب الله هداه من الضلالة ، ووقاه سوء الحساب يوم القيامة]
فالواجب على العاقل أن يتمسك بكتاب الله تعالى ، وأن يستعين على ذلك بالدعاء بأن يوفقه الله تعالى لذلك ، ويعينه على ذلك .
وقد علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته أن يدعوا بذلك ، كما روى الطبراني في :[الأوسط] عن علي رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[قل : اللهم افتح مسامع قلبي لذِكرك ، وارزقني طاعتك وطاعة رسولك ، وعملاً بكتابك]

وروى الطبراني في :[الكبير] وابن حبان ، عن أبي شريح رضي الله تعالى عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : [أبشروا وبشّروا ، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله] ؟ فقالوا : بلى . فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسّكوا به ، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً]
ورواه ابن أبي شيبة بلفظ :[إن هذا القرآن سبب – أي : حبل – طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً]
وروى ابن عساكر عن أبي مسعود مرفوعاً :[اعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وزُل مع القرآن حيث زال – أي : كن متمسكاً به تاركاً لهوى نفسك حيث كنت – واقبل الحقّ ممن جاء به من صغير أو كبير وإن كان – الذي جاء به – بغيضاً ، واردد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيباً قريباً] وقد بيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ هذا القرآن الكريم فيه الهدى والنور ، وأنّ من ابتغى الهدى في غيره أضله الله تعالى ، فكلُّ ما خالف القرآن الكريم فهو ضلال وفساد ، وشر على صاحبه وعلى من عمل به ، روى الإمام الترمذي ، عن علي كرّم الله وجهه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : [أما إنها ستكون فتنة] قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : [كتاب الله تعالى ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله تعالى ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله تعالى .
وهو حبل الله المتين ، وهو الذِّكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم تنته الجنُّ إذ سمعته حتى قالوا :{ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ }من قال به صدَق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم] .
وكما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته بالتمسك بكتاب الله تعالى ، أمرهم بالتمسك بسنته صلى الله عليه وآله وسلم ، وكما حذَّر أمته من ترك العمل بكتاب الله تعالى ، حذّرهم من ترك العمل بما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم . روى الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[إن الشيطان قد أيس أن يُعبد في أرضكم ، ولكنه رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ،

فاحذروا – إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلُّوا أبداً : كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه] الحديث كما في [ترغيب] المنذري .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من أكل طيباً ، وعمل في سنة ، وأَمِن الناس بوائقه – أي : أذاه وشره – دخل الجنة] قالوا : يا رسول الله إن هذا في أمتك اليوم كثير قال صلى الله عليه وآله وسلم :[وسيكون في قرون بعدي]
قال الحافظ المنذري : رواه ابن أبي الدنيا والحاكم – واللفظ له – وقال : صحيح الإسناد . اهـ
وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ستة لعنتُهم ، ولعنهم الله ، وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله عز وجل ، والمكذِّب بقدر الله ، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذلَّ من أعزَّ الله ، ويعزَّ من أذلَّ الله ، والمستحلُّ حرمة الله تعالى ، والمستحلُّ من عِترتي ما حرَّم الله تعالى ، والتارك السنَّة]
قال المنذري : رواه الطبراني في :[الكبير] وابن حبان في : [صحيحه] والحاكم : وقال : صحيح الإسناد ولا أعرف له علَّة اهـ

من بلغه القرآن

فكأنما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمع منه

أخرج ابن مردويه ، وأبو نعيم ، والخطيب ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من بلغه القرآن فكأنما شافهته به] أي : كلمته – ثم قرأ :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ }
وعن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى :{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } قال : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . وفي رواية عنه أنه قال : من بلغه القرآن حتى يفهمه ويعقله كان كمن عاين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلَّمه .
أي : فلا حجة له في إعراضه وتقصيره .
رواه ابن أبي شيبة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وغيرهم .

تحذير المسلم من ترك العمل بالقرآن الكريم

إن الله تعالى أنزل كتابه الكريم للاتِّباع والعمل ، لا للهجر والكسل ، فحقٌّ على كل مكلف : الاعتقاد بعقائد هذا القرآن ، والائتمار بأوامره والانتهاء عن مناهيه ، قال الله تعالى :{ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } أي : فاتبعوا أوامره ، واتقوا مناهيه .

التحذير من فصل السنة عن القرآن ومن دعوى الاستغناء به عن السنة

قال الله تعالى :{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } الآية فمن لم يعمل بالسنة لم يعمل بالقرآن كما هو نص الآية ، وقد قرن الله تعالى بين الكتاب والسنة لتلازمهما ، فقال تعالى :{ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } والمراد بالحكمة هنا السنة النبوية المحمدية ، المشتملة على أقواله وأفعاله وتقريراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فهي نازلة بالوحي من الله تعالى ، وهي بيان لكتاب الله تعالى .

وقال تعالى :{ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ } أي : السنة . وقال تعالى :{ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ } أي : السنة .

وقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلِّم أمته الكتاب والحكمة قال تعالى :{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الرجل الضال الذي يزعم أنه يكتفي في معرفة الحلال والحرام بكتاب الله تعالى ، من غير أن يرجع إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل يردُّها ويعرض عنها ، وحذّر صلى الله عليه وآله وسلم من تضليله . فقد روى الترمذي وأبو داود، عن المقدام بن معد يكرب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا هل عسى رجلٌ يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله كما حرّم الله] هذه رواية الترمذي ، ورواية أبي داود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألا إني أوتيت هذا الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجلٌ شبعانُ على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلُّوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه ، ألا لا يحلُّ لكم : الحمار الأهليُّ ، ولا كلُّ ذي ناب من السباع ، ولا لُقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقروه ، فإن لم يقروه فله أن يُعقبهم – أي : أن يأخذ منهم – بمثل قِراه]

قال العلامة الخطابي في شرح هذا الحديث : قوله صلى الله عليه وآله وسلم :[أوتيت هذا الكتاب ومثله] يحتمل وجهين من التأويل :

أحدهما : أن معناه أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتي من الوحي الباطن غير المتلوِّ مثلما أعطي من الظاهر المتلوِّ .

والثاني : أنه صلى الله عليه وآله وسلم أوتي الكتاب وحياً وأوتي من البيان مثله ، أي : أذن له أن يبيِّن ما في الكتاب فيعُمَّ ويخُصَّ ، ويزيد عليه ويشرع

ما ليس في الكتاب ، فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلوِّ من القرآن اهـ

وعن أبي رافع رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لا أعرفن الرجل منكم يأتيه الأمر من أمري ، إما أمرت به أو نهيت عنه وهو متكئ على أريكته فيقول : ما ندري ما هذا ؟ عندنا كتاب الله وليس هذا فيه – وما لرسول الله أن يقول ما يخالف القرآن ، وبالقرآن هداه الله] أخرجه الترمذي وأبو داود .[٦٣]

تحذير المسلم من ترك الأوامر القرآنية

عن عبد الرحمن بن شبل رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[اقرؤوا القرآن واعملوا به ، ولا تجفوا عنه[٦٤]، ولا تغلوا فيه[٦٥]، ولا تأكلوا به ، ولا تستكثروا به][٦٦]

رواه أحمد في :[المسند] وقال في [الفتح] : سنده قوي .

وفي : [المسند] أيضاً عن حذيفة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا حذيفة تعلَّم كتاب الله واتَّبع ما فيه] قال ذلك ثلاث مرات .

تحذير المسلم أن يستحلَّ محارم القرآن

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمه] رواه الترمذي عن صهيب رضي الله تعالى عنه .

قال العلامة الطيبي : من استحل ما حرم الله تعالى فقد كفر مطلقاً ، فخصَّ القرآن لعظمته وجلالته ، وهذا معنى قول أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه :[رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه] .

إن من شر الناس من يقرأ القرآن ولا يرْعوي

روى النسائي ، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب الناس عام تبوك وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال :[ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن من خير الناس : رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه ، أو على ظهر بعيره ، أو على قدميه ، حتى يأتيه الموت . وإن من شر الناس : رجلاً فاجراً جريئاً قرأ كتاب الله ولا يرعوي] أي : لا ينكفُّ ولا ينزجر عن القبح الذي نهى عنه القرآن .

---

[٦٣] انظر جميع ذلك في :[جامع الأصول] لابن الأثير .

[٦٤] أي : لا تبعدوا عن تلاوته .

[٦٥] أي : لا تجاوزوا حده : من حيث لفظه : بأن تخرجوا عن أحكام تجويده ، ولا من حيث معناه : بأن تتأولوه بالباطل اتباعاً لأهوائكم

[٦٦] أي : لا تجعلوه سبباً للاستكثار من حطام الدنيا .

ورواه أحمد والحاكم وصححه ، وروى الطبراني ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :
[اقرأ القرآن ما نهاك ، فإن لم ينهك فلست تقرؤه]
وكذا رواه أبو نعيم ، والديلمي ، كما في :[الجامع الصغير] و[شرح الإحياء] والمعنى : أنك ما دمت تقرأ القرآن مؤتمراً بأمره ، ومنتهياً بنهيه وزجره ، فأنت القارئ الكامل ، وبذلك يكون القرآن الكريم حجة لك بين يدي رب العزة ، وإن لم تكن كذلك : فحالك نذير ، وموقفك خطير .
وقد رواه الطبراني في [الكبير] عن ابن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[رُبَّ حامل فقه غير فقيه ، ومن لم ينفعه علمه ضره جهله ، اقرأ القرآن ما نهاك ، فإن لم ينهك فلست تقرؤه] كما في :[ترغيب] المنذري .

من لم يعمل بما في القرآن الكريم

يبدأ عذابه في عالم البرزخ – أي : القبر – إلى ما وراءه من الحشر

روى البخاري ، عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكثر أن يقول لأصحابه :[هل رأى أحد منكم رؤيا] ؟ فيقصُّ عليه من شاء أن يقصَّ ، وإنه صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات غداة :[إنه أتاني الليلة آتيان – وهما جبريل وميكائيل كما ورد في آخر الحديث – وإنهما ابتعثاني فقالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما . – وفي رواية [فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة] – وفي رواية أحمد :[إلى أرض فضاء ، أو أرض مستوية] –
وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغُ – أي : يشدخ رأسه – فيتهدهد الحجر – أي : يتدحرج – ههنا ، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصحَّ رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى]
قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فقلت لهما : سبحان الله ما هذان] ثم أجابه الملكان بعد ذلك فقالا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم :[أما الرجل الذي أتيت عليه يُثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه – أي : لا يتقبل العمل به – وينام عن الصلاة المكتوبة]
وفي رواية للبخاري في كتاب الجنائز :[قالا : وأما الذي رأيت يُشدخ رأسه : فرجل علَّمه الله القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه بالنهار ، يُفعل به – أي : يُعذَّب بذلك – إلى يوم القيامة] الحديث ، كما في كتاب الجنائز والتعبير من البخاري .

مخاصمة القرآن لمن لم يعمل به وانتصاره للعامل به

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[يؤتى برجل يوم القيامة ويُمثَّل له القرآن قد كان يضيِّع فرائضه ، ويتعدّى حدوده ، ويخالف طاعته ، ويركب معاصيه .
فيقول : أي ربِّ حمَّلتَه آياتي فبئس حاملي ، تعدَّى حدودي ، وضيَّع فرائضي ، وترك طاعتي ، وركب معصيتي – فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ! فيأخذ بيده فما يفارقه حتى يكُبَّه على منخره – أي : على وجهه – في النار .
ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدود القرآن ، ويعمل بفرائضه ، ويعمل بطاعته ، ويجتنب معصيته – فيصير خصماً دونه .
فيقول : أي ربِّ حمّلتَ آياتي خير حامل : اتقى حدودي ، وعمل بفرائضي ، واتَّبع طاعتي ، واجتنب معصيتي – فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال له : فشأنك به ، فيأخذ بيده فما يزال حتى يكسوه حلة الإستبرق ، ويضع عليه تاج المُلك ، ويسقيه بكأس المُلك]
قال في :[مجمع الزوائد] : رواه البزار ، وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلِّس ، وبقية رجاله ثقات . اهـ
ورواه ابن أبي شيبة ، وابن الضُّريس كما في :[منتخب الكنز]

القرآن هو الحجة عند الله تعالى

عن أبي مالك الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كلُّ الناس يغدو فبائع نفسه : فمعتقها أو موبقها] رواه مسلم .
وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[ثلاثة تحت العرش يوم القيامة : القرآن له ظهر وبطن [٦٧] يُحاجُّ العباد ، والأمانة ، والرحِم تنادي : ألا من وصلني وصله الله تعالى ، من قطعني قطعه الله] رواه البغوي في : [شرح السنة] ، ورواه الحكيم الترمذي ، ومحمد بن نصر .
فإذا كان يوم القيامة وقف القرآن موقف الاحتجاج ، فإما أن يحتج للعبد ، وذلك إن كان عمل به ، وإما أن يحتج على العبد ، وذلك إن كان خالف ما جاء به القرآن . قال أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه :[إن هذا القرآن كائنٌ لكم أجراً ، وكائن عليكم وزراً ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنَّكم

---

[٦٧] قال في [التيسير] فظهره لفظه ، وبطنه معناه ، أو : ظهره ما ظهر من تأويله ، وبطنه ما بطن من تفسيره . اهـ وثمة معارف ومفاهيم ، { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ }

القرآن ، فإنه من اتَّبع القرآن – أي : عمل به هبط به على رياض الجنة ، ومن اتبعه القرآن – بأن لم يعمل به – زُجَّ في قفاه ، فقذفه في النار].
وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال :[إن القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى ، فمن وقَّر القرآن فقد وقَّر الله ، ومن لم يوقِّر القرآن فقد استخفَّ بحق الله ، والقرآن شافع مشفَّع ، وماحلٌ مصدَّق ، فمن شفع له القرآن شُفِّع ، ومن محل به القرآن صُدِّق ،ومن جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار] الأثر كما تقدم .

خصائص بعض السور والآيات والترغيب في قراءتها

سورة الفاتحة هي أعظم سورة في القرآن الكريم

روى البخاري عن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله تعالى عنه قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم أجبه ، ثم أتيته فقلت : يا رسول الله إني كنت أصلي .
فقال :[ألم يقل الله تعالى :{ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }
ثم قال لي :[لأعلمنَّك سورة هي أعظم سورة في القرآن]
فقال صلى الله عليه وآله وسلم :{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته]

سورة الفاتحة هي أفضل القرآن الكريم

روى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج على أبي بن كعب ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[يا أبيٌّ] وهو – أي : أبيٌّ – يصلي ، فالتفت فلم يجبه ، وصلى أبيٌّ فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : السلام عليك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[وعليك السلام ، ما منعك يا أبيٌّ أن تجيبني إذ دعوتك]؟
فقال : يا رسول الله إني كنت في الصلاة ، قال :[أفلم تجد فيما أوحي إلي أن :{ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ }؟
قال أبيٌّ : بلى – ولا أعود إن شاء الله . قال :[تحبُّ أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها]؟
قال : نعم يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[كيف تقرأ في الصلاة] ؟ فقرأ أم القرآن . فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في القرآن ، مثلها ، وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم الذي أُعطيتُه]
فسورة الفاتحة تسمى أم القرآن ، وذلك لأن أمَّ الشيء أصله ومرجعه ، ولذلك سميت مكة أم القرى ، لأنها الأصل ، فإن أول ما خلق الله تعالى من

الأرض تلك البقعة ، ثم دُحيت الأرض من تحتها ، وإليها ترجع سائر القرى في صلاتها وحجِّها ، وفيها بُعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها . وكذلك سورة الفاتحة ترجع إليها سائر مقاصد القرآن ، ومجامع علومه إجمالاً ، لما تضمنته من الإلهيات ، والنبوات ، والشرائع ، وأحوال المبدأ والمعاد ، ونحو ذلك كما بينه المحققون ، قال سيدنا علي كرم الله وجهه :[لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب]

سورة الفاتحة تسمى سورة المناجاة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[قال الله تعالى : قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي نصفين – ولعبدي ما سأل . فإذا قال :{ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } قال الله تعالى : حمدني عبدي . وإذا قال :{ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } قال الله تعالى : أثنى عليَّ عبدي . فإذا قال :{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } قال الله تعالى : مجَّدني عبدي – وقال مرة : فوَّض إليَّ عبدي – فإذا قال :{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } قال : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال :{ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }
قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل] رواه مسلم .
وفي رواية للبيهقي :[فإذا قال : { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } – يعني : في أول الفاتحة – قال الله تعالى : ذكرني عبدي]

وتسمى الشافية والرُقية

عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : كنا في مسير لنا ، فنزلنا فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحي سليمٌ – أي : لديغ – فهل منكم راقٍ ؟
فقام معها رجل ما كنا نأبنه برقية ، فرقاه – أي : فقرأ عليه سورة الفاتحة – فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبنا .
فلما رجع – أبو سعيد – قلنا له : أكنت تُحسن الرقية ؟ قال : لا ، ما رقيت إلا بأمِّ الكتاب – أي : سورة الفاتحة - قلنا : لا تحدثوا شيئاً – في : الشياه – حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : [وما يدريه أنها رُقية ! اقسموا – الشياه – واضربوا لي بسهم] رواه البخاري .
وفي هذا دليل مشروعية الرقية بالقرآن ، ودليل من قال : بجواز أخذ الأجرة على القراءة .

وتسمى الشِفاء

روى الدارمي ، عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [فاتحة الكتاب شفاء من كل سُمٍّ]

وتسمى فاتحة الكتاب

روى مسلم ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال :[بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ سمع نقيضاً – أي : صوتاً من فوقه – فرفع رأسه إلى السماء فقال : - أي : جبريل عليه السلام - : هذا باب من السماء فُتح اليوم لم يفتح قطُّ إلا اليوم – فنزل منه ملك . فقال – جبريل عليه السلام - : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قطُّ إلا اليوم ، فسلّم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لم تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته]

وتسمى الكافية لأنها تكفي عن غيرها وتسمى الكنز

ولها أسماء كثيرة : وهي أفضل سورة في القرآن الكريم :

فقد روى ابن حبان في [صحيحه] والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، عن أنس رضي الله تعالى عنه قال :[كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مسيرٍ ، فنزل ونزل رجل إلى جانبه ، قال : فالتفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : [ألا أخبرك بأفضل القرآن] ؟ قال : بلى ، فتلا : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }كما في [ترغيب] المنذري .

ما ورد في فضل سورة البقرة عامة وبعض آيات منها خاصة

سورة البقرة سِنام القرآن : عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً ، واستخرجت :{ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } – آية : الكرسي – من كنز تحت العرش ، فوصلت بسورة البقرة . ويسن قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له ، اقرؤوها على موتاكم] رواه الإمام أحمد .

سورة البقرة حصن من الشياطين :

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الهو تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[لا تجعلوا بيوتكم قبوراً – أي : نوِّروها بالصلاة والقرآن – فإن البيت الذي لا تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان]

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن لكل شيء سناماً ، وإن سنام القرآن البقرة ، وإن من قرأها في بيته ليلاً لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها في بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام] رواه الطبراني وابن حبان في :[صحيحه]

سورة البقرة شعار المجاهدين وفُسطاط العاملين :

جاء في السير : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رأى يوم حنين في بعض أصحابه تأخراً ، أمر العباس رضي الله تعالى عنه ، فناداهم : يا أصحاب الشجرة – يعني : أهل بيعة الرضوان الذين بايعوه فيها على الموت – وجعل العباس رضي الله تعالى عنه ينادي : يا أصحاب سورة البقرة – لينشطهم ويبعث فيهم الهمة ، لأن الله تعالى يقول في سورة البقرة :
{ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }
فجعلوا يُقبلون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كل صوب وجهة . وكذلك يوم اليمامة في الحرب مع مسيلمة الكذاب ، جعل المهاجرين والأنصار يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، حتى فتح الله تعالى عليهم ونصرهم . وكان خالد بن معدان يسمي سورة البقرة : فُسطاط القرآن وذلك لعظمتها ، وحملها للعقائد ، والأحكام ، والمعاملات ، والأخلاق والآداب .
وقد أقام ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، ثماني سنين يتعلمها ويتدبرها ويحقق العمل بها حتى ختم ذلك كله ، فنحر بدنة شكراً لله تعالى .

عشر آيات من سورة البقرة أمان من كل مكروه

روى الدارمي ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال :[من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة : أربع آيات من أولها ، وآية الكرسي ، وآيتان بعدها ، وثلاث آيات من آخرها – لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ، ولا شيء يكرهه ، ولا تقرأ على مصروع إلا أفاق]

آية الكرسي هي سيدة آي القرآن

روى الترمذي ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[لكل شيء سنام ، وإن سنام القرآن سورة البقرة ، وفيها آية هي : سيدة آي القرآن : آية الكرسي]

آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله تعالى

عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله :[أيُّ آية في كتاب الله أعظم]؟ قال : الله ورسوله أعلم ، فردِدها مراراً ثم قال أبيٌّ : آية الكرسي . فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[ليهنِكَ العلم أبا المنذر ، والذي نفسي بيده إنّ لها لساناً وشفتين تقدِّس الملك عند ساق العرش] رواه الإمام أحمد .
وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : أعظم آية في القرآن – آية الكرسي – وأعدل آية في القرآن :{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } إلى آخرها ، وأخوف آية في القرآن : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } وأرجى آية :{ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ }

آية الكرسي مشتملة على الاسم الأعظم

عن أسماء بنت يزيد رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في هاتين الآيتين :{ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }و{ الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } :[إن فيهما اسم الله الأعظم] رواه الترمذي .

آية الكرسي حصن حصين

روى البخاري ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : وكَّلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آتٍ فجعل يحثو – أي : يتناول – من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : دعني – اتركني – فإني محتاج ، وعليَّ عيال ، ولي حاجة شديدة . قال : فخلَّيت عنه – فأصبحت .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة] قلت : يا رسول الله شكى حاجة شديدة وعيالاً ، فرحمته وخلَّيت سبيله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[أما إنَّه قد كذبك وسيعود]

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : فعرفت أنه سيعود لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[إنه سيعود] .

فرصدته – فرقبته – فجاء يحثو الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : دعني ، فإني محتاج ، وعليَّ عيال – لا أعود . فرحمته فخلَّيت سبيله – فأصبحت .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة]؟ قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً ، فرحمته فخلَّيت سبيله .

قال : [أما إنه قد كذبك وسيعود] قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنَّك إلى رسول الله صلى الله عليه وبله وسلم ، وهذا آخر ثلاث مرات تزعم أنك لا تعود ثم تعود . فقال : دعني أعلِّمك كلمات ينفعك الله بها . قلت : وما هي ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح .

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : فخلَّيت سبيله – فأصبحت .

فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : [ما فعل أسيرك البارحة] ؟ فقلت : يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها ، فخليت سبيله .

فقال : [ما هي] ؟ فقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختم الآية ، فلن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح .
وكانوا – أي : الصحابة – أحرص شيء على الخير .
فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :[أما إنه صدقك وهو كذوب ! تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة] ؟ قلت : لا . قال :[ذاك شيطان]
- أي تمثَّل بصورة إنسان محتاج إلى طعام .

تلاوة آية الكرسي عقب الصلوات من أكبر الحسنات

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[من قرأ دُبر – وراء – كل صلاة مكتوبة – مفروضة – آية الكرسي : لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت] رواه ابن مردويه .
قال الحافظ ابن كثير : ورواه النسائي في [عمل اليوم والليلة] عن الحسن بن بشر ، وأخرجه ابن حبان في [صحيحه] من حديث محمد بن حميد الحمصي ، وهم من رجال البخاري ، فهو إسناد على شرط البخاري اهـ
ومن أسرار آية الكرسي ما ذكره كثير من العلماء بالقراءات رضي الله تعالى عنهم : أنها ذكر الله تعالى في ستة عشر موضعاً منها ، ما بين اسم ظاهر ومضمر ، وأوصلها بعضهم إلى عشرين ، باعتبار الضمائر المستترة في اسم :[الحي ، القيوم ، العلي ، العظيم] ويعلم ذلك من تأمله .

خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم يعطهن نبي قبلي] رواه الإمام أحمد .
وقال سيدنا علي رضي الله تعالى عنه :[لا أرى أحداً عَقل الإسلام ينام حتى يقرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة ، فإنها من كنز أعطيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم من تحت العرش]
وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه] – أي : عن غيرهم من التعاويذ ، أو من الشرور والآفات والمكاره .
وعن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام ، أنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرأ بهن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان] رواه الترمذي .

آخر سورة البقرة دعاء لقَّنه الله تعالى عباده وضمِن لهم الإجابة

روى مسلم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث طويل قال فيه : فأنزل الله تعالى :{ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا }
قال الله تعالى :[نعم] { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } قال الله تعالى :[نعم] { رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ }
قال الله :[نعم] { وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } قال الله :[نعم]
وفي حديث آخر : قال الله تعالى :[قد فعلت] .
وروى الحاكم والبيهقي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذي تحت العرش ، فتعلَّموها وعلِّموها نساءكم وأبناءكم ، فإنهما صلاة وقرآن ودعاء]

ما ورد في فضل سورتي : البقرة وآل عمران

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه .
اقرؤوا الزهروابن – المنيرتين – البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان [٦٨] ، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجَّان عن صاحبهما . اقرؤوا البقرة : فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة][٦٩] رواه مسلم .
وفي :[الصحيحين] عن ابن عباس رض الله تعالى عنهما ـ، أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنها – وهي : خالته قال :[فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله في طولها . فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من منامه ، فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده .
وفي رواية ابن مردويه : فرفع رأسه إلى السماء فقال : [سبحان الملك القدوس] ثلاث مرات ، ثم قرأ العشر الخواتم من سورة آل عمران ، ثم قام إلى شنٍّ معلقة ، فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلي – قيام الليل – فقمت فصنعت مثل ما صنع ، ثم ذهبت وقمت إلى جنبه .
فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني ففتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم

---

[٦٨] الغياية : ما أظلك من فوقك .
[٦٩] أي : لا يستطيعون القيام بحقوقها ، أو المراد بالبطلة : السحرة ، بمعنى أنها حصن من سحر السحرة .

ركعتين ، ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع ، حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلَّى الصبح]
وفي الحديث الذي رواه ابن مردويه : لما نزلت عليه آية : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }قال : [ويل لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها]
وذلك لأن فيها الحثَّ على التفكر والاعتبار والتدبر والادِّكار .
كما روى أبو الشيخ وغيره ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج يوماً إلى أصحابه وهم يتفكرون فقال :[لا تفكَّروا في الله تعالى ، ولكن تفكَّروا فيما خلق]
وإنما نهاهم عن التفكر في ذات الله تعالى لأنهم لا يحيطون به علماً ، ولا يدركونه خبرة وفهماً { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ }

آية { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } هي : أعظم شهادة في كتاب الله تعالى

روى الإمام أحمد ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية يوم عرفة ثم قال بعد قراءتها :[وأنا على ذلك من الشاهدين يا ربِّ]
وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعدما ظهر في المدينة ، قدم عليه حبران من أحبار الشام ، فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه : ما أشبه هذه المدينة بمدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان !! – صلى الله عليه وآله وسلم - . فلما دخلا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرفاه بالصفة ، فقالا له : أنت محمد – صلى الله عليه وآله وسلم ؟
قال :[نعم] ، قالا : أنت أحمد – صلى الله عليه وآله وسلم ؟
قال : [نعم] ، قالا : إنا نسألك عن شهادةٍ فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك . فقال لهما :[سلاني]
فقالا له : أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله تعالى ؟
فأنزل الله تعالى هذه الآية – فأسلما .
فهي أعظم شهادة في كتب الله تعالى ، وإنما عرفاه صلى الله عليه وآله وسلم بموجب الصفات المذكورة في التوراة والإنجيل .

آية :{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ }

روى الطبراني بإسناده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب : في هذه الآية : { قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ } الآية .
وروى ابن أبي الدنيا ، عن معاذ رضي الله تعالى عنه قال : شكوت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ديناً كان عليَّ .

فقال :[يا معاذ أتحبُّ أن يقضى دينك] ؟ قلت : نعم . قال : [قل :
{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، تعطي منهما ما تشاء ، وتمنع منهما ما تشاء ، اقضِ عني ديني] قال صلى الله عليه وآله وسلم :[فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً : أُدِّي عنك] وروى الطبراني نحو هذا الحديث بالسند الجيد .

آية :{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ }

روى أبو داود ، عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أنه قال : [من قال حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم – سبع مرات – كفاه الله ما أهمَّه من الدنيا والآخرة] ورواه ابن السُنِّي مرفوعاً .

سورة الإسراء

عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت :[كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ كل ليلة : بني إسرائيل والزُّمر] – أي : سورة الإسراء وسورة الزُّمر – رواه الترمذي والنسائي وغيرهما .

آخر آية من سورة الإسراء

روى الإمام أحمد بإسناده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [آية العزِّ :{ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }

وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي في :[الأسماء والصفات] بإسنادهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [ما كربني أمر إلا تمثَّل لي جبريل عليه السلام فقال لي : يا محمد قل : توكلت على الحيِّ الذي لا يموت ، و { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }] .

وروى أبو يعلى ، وابن السني ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتى على رجل رثِّ الهيئة فقال :[أيْ فلان ما بلغ بك ما أرى من السقم والضرِّ ، ألا أعلِّمك كلمات تذهب عنك السقم والضر . قل : توكلت على الحي الذي لا يموت ، و { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا }] إلى تمام الآية .

ثم أتى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم – أي : بعد حين – وقد حسُنت حالته . فقال :[مهيَم] ؟ فقال : لم أزل أقول الكلمات التي علمتني يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
وروى عبد الرزاق في :[مصنفه] بإسناده ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلِّم الغلام من بني هاشم إذا أفصح سبع مرات { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا }الآية .
وروى نحو ذلك ابن جرير ، وابن أبي شيبة ، وابن السني .

سورة الكهف

عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من حفظ عشر آيات أول سورة الكهف عصم من الدجال] رواه مسلم . وفي رواية له :[من آخر سورة الكهف]
وفي رواية النسائي :[من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عُصم من فتنة الدجال] .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين] رواه النسائي .
وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة ، وغُفر له ما بين الجمعتين] أي : من الصغائر . قال الحافظ المنذري : رواه ابن مردويه في تفسيره بإسناد لا بأس به . وروى ابن مردويه عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً :[ألا أخبركم بسورة ملء عَظمَتها ما بين السماء والأرض ، ولكاتبها من الأجر مثل ذلك . ومن قرأها يوم الجمعة غُفر له ما بينه وما بين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام . ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أيَّ الليل شاء : سورة أصحاب الكهف]كما في [الفتح الكبير]

سورة طه

روى الدارمي وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن الله تبارك وتعالى قرأ : طه ويسن قبل أن يخلُق السموات والأرض بألفي عام .
فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لأمة ينزل عليها هذا ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسنة تتكلم بهذا]

سورة السجدة { الم }

عن جابر رضي الله تعالى عنه :[أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا ينام حتى يقرأ :{ الم تنزيل } السجدة ، و{ تبارك الذي بيده الملك } رواه الترمذي والنسائي .

سورة يس

روي عن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إن لكل شيء قلباً ، وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس : كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات دون يس] رواه الترمذي والدارمي .

وروى أبو الشيخ ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً :[من قرأ يس في ليلة أضعف على غيرها عشراً ، ومن قرأها في صدر النهار وقدَّمها بين يدي حاجته قضيت] كما في :[كنز العمال] .

وروى البيهقي ، عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر الله ما تقدم من ذنبه ، فاقرؤوها عند موتاكم] .

وعن جندب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ يس ابتغاء وجه الله تعالى غُفر له] رواه مالك ، وابن حبان في :[صحيحه] ، وتقدمت رواية أحمد في فضل سورة البقرة .

فضل الحواميم

روى أبو الشيخ في :[الثواب] عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : [الحواميم ديباج القرآن] ورواه الحاكم في :[المستدرك] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه موقوفاً ، كما في [الجامع الصغير]

وروى ابن مردويه ، عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه مرفوعاً : [الحواميم روضة من رياض الجنة]

وروى البيهقي ، عن الخليل بن مرة مرسلاً مرفوعاً :[الحواميم سبع ، وأبواب جهنم سبع ، تجيء كل حاميم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول : اللهم لا تدخل هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرؤني]

حم الدخان

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليهوآله وسلم قال :[من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة غُفر له] رواه النسائي .

وفي رواية :[من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك] رواه الترمذي

سورة الرحمن

روى البيهقي ، والديلمي ، عن السيدة فاطمة عليها السلام ورضي الله تعالى عنها وعنا بها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[قارئ الحديد – أي : سورة الحديد – و{ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } و{ الرحمن } يدعى في ملكوت السموات والأرض ساكن الفردوس] كما في [الفتح الكبير] وغيره .

سورة الواقعة

[علِّموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى] رواه الديلمي في : [الفردوس] عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً .

المسبِّحات

عن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ المسبِّحات كل ليلة قبل أن يرقد ، يقول :[فيهنَّ آية خير من ألف آية] رواه أصحاب السنن .

واختلف في هذه الآية : فقال ابن كثير : هي قوله تعالى في أول سورة الحديد :{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

وقال غيره : هي أواخر سورة الحشر .

وروى الإمام أحمد ، عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قال حين يصبح – ثلاث مرات – أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر : وكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة]

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : إذا وجدت في نفسك الوسوسة فقل : {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

فمن كررها ذهبت عنه الوسوسة .

سورة تبارك

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له] : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ }] رواه أصحاب السنن .

وروى الحاكم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :

[إن سورة من كتاب الله تعالى ما هي إلا ثلاثون آية ، شفعت لرجل فأخرجته من النار وأدخلته الجنة]

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها

حتى أدخلته الجنة ، وهي : تبارك] رواه الضياء المقدسي ، والطبراني في :[الأوسط] كما في :[الجامع الصغير] .
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال :[كنا نسمِّيها – يعني : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } – في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المانعة ، وإنها في كتاب الله تعالى سورة ، من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب] رواه الطبراني في :[الكبير] و[الأوسط] ورجاله ثقات .
وروى النسائي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال :[من قرأ سورة : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } كل ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر ، وكنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسمِّيها المانعة ، وإنها في كتاب الله عز وجل سورة ، من قرأها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب]
وروى عبد بن حميد في :[مسنده] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ؟ قال : بلى .
قال : اقرأ { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } وعلِّمها أهلك ، وجميع ولدك ، وصبيان بيتك ، وجيرانك ، فإنها المنجية ، والمجادلة ، تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها ، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار ، وينجِّي بها صاحبها من عذاب القبر .
وقال رسول الله صلى الله عليه وبله وسلم :[لوددت أنها – سورة تبارك – في قلب كل إنسان من أمتي]
وروى الطبراني أيضاً كما في :[مجمع الزوائد] ، وفي رواية الحاكم : [وددت أنها في قلب كل مؤمن] كما في [ترغيب] المنذري .

تعويذة قرآنية نبوية

أخرج عبد الله بن أحمد في [زوائد المسند] بسند جيد ، عن أبيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال :[كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال : يا نبي الله إن لي أخاً وبه وجع .
قال :[وما وجعُه] ؟ قال : لمَم – أي : جنون - . قال :[فأتني به]
فوضعه بين يديه فعوَّذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفاتحة الكتاب ، وأربع آيات من أول سورة البقرة ، وهاتين الآيتين :{ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ } وآية الكرسي ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة ، وآية من آل عمران : { شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ } ، وآية من الأعراف { إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ } ، وآخر سورة المؤمنون :{ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ } ، وآية من سورة الجن { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا } ، وعشر آيات من الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، و{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } والمعوِّذتين : فقام الرجل كأنه لم يشك قطُّ وجعاً] كذا في :[المسند]

ما جاء في فضل تلاوة سورة البيِّنة

روى الحافظ أبو نعيم في كتابه :[أسماء الصحابة] بإسناده عن فضيل رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[إن الله تعالى ليسمع قراءة :{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا } فيقول : أبشر عبدي : فوعزَّتي لأمكننَّ لك في الجنة حتى ترضى]

وروى الحافظ أبو موسى المديني ، وابن الأثير ، عن مطر المزني أو المدلي ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :

[إن الله يسمع قراءة :{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا } ويقول : أبشر عبدي : فوعزَّتي لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ، ولأمكننَّ لك في الجنة حتى ترضى] كذا في :[تفسير] ابن كثير .وقد جاءت الأحاديث النبوية في أن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ هذه السورة على أبيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنه . فقد روى الإمام أحمد بسنده ، عن أبي حيَّة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال :[لما نزلت :

{ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } إلى آخرها .

قال جبريل :[يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تُقرئها أبّياً]

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبيّ :[إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة] ، قال أبيٌّ : وقد ذكِرتُ ثمَّ – أي : هناك في الملأ الأعلى – يا رسول الله ؟ فقال :[نعم] قال : فبكى أبيٌّ رضي الله عنه]

وفي رواية للإمام أحمد ، عن أبيِّ بن كعب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا] ، قلت : يا رسول الله وقد ذُكرت هناك ؟

قال :[نعم] فقال لي : [يا أبا المنذر فرحت بذلك]؟

قال : وما يمنعني ؟ والله يقول :{ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ }

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : وإنما قرأ عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه السورة : تثبيتاً له وزيادة لإيمانه ، فإنه كان قد أنكر على إنسان – وهو عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ـ قراءة شيء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما :

[أصبت] قال أبي : فأخذني من الشك ، ولا إذ كنت في الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صدري .

قال أبيٌّ : ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله فرقاً . وأخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن جبريل أتاه فقال :[إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرف . فقلت : أسأل الله معافاته ومغفرته .
فقال : على حرفين – فلم يزل حتى قال : إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف]
كما جاءت الأحاديث الصحيحة في ذلك . اهـ ملخصاً .
من خصائص تلاوة { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } فما بعدها في السفر .
روى أبو يعلى ، والضياء المقدسي ، عن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[أتحبُّ يا جبير إذا خرجت سفراً أن تكون من أمثل أصحابك هيئة وأكثرهم زاداً ؟
اقرأ هذه السور الخمس :{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } ، و{ إذا جاء نصر الله والفتح }، و{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، و{ قل أعوذ برب الفلق } ، و{ قل أعوذ برب الناس } ، وافتتح كل سورة بـ { بسم الله الرحمن الرحيم } كما في : [الفتح الكبير } .
الترغيب في قراءة :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } وفضلها
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[احشُدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن]
فحشد من حشد – أي : فاجتمعوا – قال : ثم خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ثم دخل . فقال بعضنا لبعض : إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذلك الذي أدخله .
ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[إني قلت لكم : سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، ألا إنها تعدل ثلث القرآن] رواه مسلم .
وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن]
قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }تعدل ثلث القرآن]
وفي رواية :[إن الله عز وجل جزَّأ القرآن ثلاثة أجزاء ، فجعل { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } جزءاً من أجزاء القرآن] رواه مسلم .
وروي عن معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة] .
فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذاً نستكثر يا رسول الله ؟
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[الله أكثر وأطيب] رواه أحمد

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختتم بـ : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } . فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :[سلوه لأي شيء يصنع ذلك] فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
[أخبروه أن الله يحبُّه] رواه البخاري ومسلم .

قراءة سورة الإخلاص قبل النوم

روى الترمذي ، عن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : [من أراد أن ينام على فراشه من الليل ، فنام على يمينه ثم قرأ :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مائة مرة – إذا كان يوم القيامة يقول له الربُّ تبارك وتعالى : يا عبدي أدخل على يمينك الجنة] .

فضل الإكثار من تلاوة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }

روى الترمذي ، عن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ كل يوم مائتي مرة :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مُحي عنه ذنوب خمسين ، إلا أن يكون عليه دين]

وروى البيهقي ، عن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال :[من قرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مائتي مرة غفر الله له ذنوب مائتي سنة]

وروى الطبراني ، والديلمي مرفوعاً :[من قرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار }

وروى البيهقي ، وابن عدي ، عن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من قرأ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } مائة مرة غُفر له خطيئة خمسين عاماً – ما اجتنب خصالاً أربعاً : الدماء ، والأموال ، والفروج ، والأشربة]

وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[من قرأ :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى] – أي أعتق رقبته من النار – رواه الخياري في : [فوائده] كما في [الجامع الصغير] وغيره .

تلاوة سورة الإخلاص عند دخول المنزل

روى الطبراني ، عن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[من قرأ : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } حين يدخل منزله : نفتِ الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران] [٧٠]

تلاوة سورة الإخلاص عشر مرات بعد الصلاة

---

[٧٠] قال الحافظ ابن كثير : إسناده ضعيف .

روى ابن عساكر ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً :[ثلاث من كنَّ فيه ، أو واحدة منهنَّ : فليتزوج من الحور العين حيث شاء : رجل ائتُمن على أمانة مخافة الله عز وجل ، ورجل خلَّى عن قاتله – أي : عفا عن قاتله ، كما في رواية – ورجل قرأ في دبر كل صلاة { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } عشر مرات]
ورواه عن جابر رضي الله تعالى عنه مرفوعاً كما في :[الجامع الصغير]

فضل تلاوة المعوِّذتين وخصائصهما

روى الإمام البخاري ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها :[أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كلَّ ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما :{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } ثم يمسح بهما – أي : بيديه – ما استطاع من جسده : يبدأ بهما على رأسه ووجهه ، وما أقبل من جسده صلى الله عليه وآله وسلم – يفعل ذلك ثلاث مرات] ورواه أصحاب السنن .
وفي هذا التمسُّح دليل على التبرك والاستشفاء بهنَّ ، كما نبَّه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره ، وفيه دليل على جواز التمسح تبركاً واستشفاء واسترحاماً بكلمات الله تعالى وأسمائه .
وروى الإمام مسلم وغيره ، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[ألم ترَ آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن :{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }]
وروى الإمام أحمد ، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[اقرأ بالمعوِّذتين ، فإنك لن تقرأ بمثلهما] ، وروى الإمام مالك عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها :[أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا اشتكى – أي : مرضاً أو وجعاً – يقرأ على نفسه بالمعوِّذتين وينفث]
قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها :[فلما اشتدَّ وجعه صلى الله عليه وآله وسلم كنت أقرأ عليه بالمعوِّذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها]
ورواه البخاري وغيره .
وروى أصحاب السنن ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه :[أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعوَّذ من الجانِّ وأعين الإنسان ، فلما نزلت المعوِّذتان أخذ بهما وترك ما سواهما]

وروى الإمام أحمد ، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له :[ألا أخبرك بأفضل ما تعوَّذ به المتعوِّذون]؟ قال : بلى .
فقال :{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }].
وروى النسائي ، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : تبعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو راكب ، فوضعت يدي على قدميه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف .
فقال : لن تقرأ شيئاً أنفع عند الله تعالى من :{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }]
هكذا أورده ابن كثير في :[تفسيره] .

قراءة المعوِّذات وراء الصلوات المكتوبات

روى الإمام أحمد ، عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : [أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أقرأ بالمعوِّذات في دبر كل صلاة] ورواه أبو داود والترمذي وغيرهما .

قراءة المعوِّذات سبعاً سبعاً بعد صلاة الجمعة

وروى ابن السُّني ، عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : [من قرأ بعد صلاة الجمعة : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } ، و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }
سبع مرات : أعاذه الله بها من السوء إلى الجمعة الأخرى]
وروى أبو سعيد القشيري في [الأربعين] عن أنس رضي الله تعالى عنه مرفوعاً :[من قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب ، و{ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } ، و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ } ، و{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }سبعاً سبعاً : غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر]

تعظيم المصاحف

قال الله تعالى :{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }
فقد أخبر سبحانه أن هذا القرآن كريم أي : مكرَّم معظَّم ، ومن ثَمَّ لا يمسه في الملأ الأعلى إلا الملائكة ، وتلك الأرواح العالية القدسية ، لأنهم مطهَّرُون أصفياء أنقياء ، وحُقَّ له ذلك ، لأنه { تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }
وقال تعالى :{ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ }
وفي هذه الآيات الكريمة بيان من الله تعالى وإعلام منه لعباده ، بشرف هذا القرآن الكريم في الملأ الأعلى ، ومجده ورفعة شأنه ، وذلك ليشرِّفه أهل الأرض ويعظِّموه ويكرِّموه ، مقتدين بالملأ الأعلى في تمجيدهم وتعظيمهم

لكتاب ربهم ، وقال تعالى :{ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ }
فبيَّن سبحانه أن صُحف هذا القرآن الكريم مكرمة ، مرفوعة المكانة في الملأ الأعلى ، مطهَّرة من كل دنس ، وزيادة ونقص وخلل ، وأنه بأيدي الملائكة الذين هم سفرة بين الله تعالى وبين خلقه ، وهم كرام الأخلاق والخصال والشِّيم ، بررة الأفعال والأعمال والأقوال ، فطوبى لمن تشبَّه بهم في تمجيدهم وتعظيمهم وتكريمهم لهذا الكتاب الكريم ، وفي أخلاقهم وأعمالهم وعباداتهم . قال صلى الله عليه وآله وسلم :[الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة] الحديث كما تقدم .
اللهم اجعلنا منهم – اللهم آمين .
فهذا القرآن الكريم شأنه عظيم ، ومقامه كريم ، لأنه تنزيل من رب العالمين ، على أفضل الأولين والآخرين ، والنازل به هو الروح الأمين ، ذو المكانة والسيادة ، والرتبة العالية والقيادة ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله :
{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ }
فكان هذا المكين جبريل عليه السلام ، المطاع الأمين ، إذا نزل بآيات الله تعالى نزل معه موكب حافل من الملائكة الكرام عليهم السلام ، يحفُون بما نزل به من كلام الملك العلاَّم – إجلالاً وإعظاماً ، وتهيُّباً وإكراماً .
وقد تقدم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :[البقرة سنام القرآن وذروته ، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكاً] الحديث
وما ذلك إلا لتفخيم أمرها ، وتعظيم شأنها ، وبيان فضلها وكرامتها .
كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ سورة الأنعام لما نزلت :
[نزل معها سبعون ألف ملك ، يشيِّعونها ، لهم زجلٌ بالتسبيح والتحميد]
كما رواه الطبراني وغيره . وفي رواية الحاكم في :[المستدرك] عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت سورة الأنعام سبَّح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال :[لقد شيَّع هذه السورة من الملائكة ما سدَّ الأفق]
قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .
وفي رواية ابن مردويه عن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[نزلت سورة الأنعام معها موكب من الملائكة سدَّ ما بين الخافقين ، لهم زجلٌ بالتسبيح ، والأرض بهم ترتجُّ]
قال أنس رضي الله تعالى عنه : وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :[سبحان الله العظيم سبحان الله العظيم] [٧١]

[٧١] انظر جميع ذلك في [تفسير] ابن كثير و[الدر المنثور]

ومن أجل حرف – أي : طرف جملة – وهو قول الله تعالى :{ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } نزل جبريل ومعه موكب من الملائكة – يلقي ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
كما روى البخاري ، عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أنه قال :[أملى عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :{ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } { وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }
فجاءه ابن أم مكتوم وهو يمليها عليَّ فقال : يا رسول الله ، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت – وكان أعمى رضي الله عنه .
فأنزل الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :{ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ }
فانظر في كرامة هذا القرآن الكريم على الله تعالى ، حتى إن جبريل الأمين المكين ينزل من أجل بعض آية ، ثم انظر في واجب إكرام هذا القرآن الكريم عند خلق الله تعالى . فحقٌ حقيق على كل مسلم أن يُجلَّ هذا القرآن الكريم ويعظِّمه . وتعظيم القرآن الكريم يتطلب عدة أمور :
منها : تعظيم المصحف : لما فيه من الصحف التي رسمته واحتوت عليه وجمعته . وقد روى ابن أبي داود في كتاب :[المصاحف] عن إبراهيم التيمي قال : كان – أي : في عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم – يقال : عظِّموا المصاحف اهـ
ومن تعظيم المصحف وتكريمه : أن يُرفع ولا يُوضع على الأرض ، وذلك لأن هذا القرآن كريم ، والكتاب الذي كُتب فيه وجمعه مكرّم ومعظَّم ، كما أخبر الله تعالى عن ذلك في قوله :{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ }وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ المقدَّس المعظَّم ، قال الله تعالى :{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ }
فالكتاب والصحف التي كُتب فيها كلمات القرآن الكريم مكرَّمة معظَّمة ، لما حوته وجمعته ، وإن الكتاب والصحف تشرُف وتعظُم وتكرُم على حسب ما احتوت عليه وكُتب فيها ، ولا أشرف ولا أمجد ولا أعظم من آيات الله تعالى وكلماته ، فيجب تعظيم الصحف الجامعة لها .
وإذا كان الأمر كذلك : فإن وضع الكتاب على الأرض لا يعدُّ من باب التكريم ولا التعظيم لذلك الكتاب ، كما هو ظاهر معلوم بالبداهة ، بل وضع الكتاب على الأرض يؤذن بعكس ذلك ، ألا ترى من البديهي أن من أراد أن يحترم كتابك رفعه بين يديه ، بل ربما رفعه على موضع مرتفع مكرَّم ، ولو وضع كتابك المرسل إليه على الأرض أمامك حين يقدَّم إليه لكبر ذلك عليك

إذاً وضع المصحف على الأرض ليس تكريماً للمصحف قطعاً ، وإن الشرع يأمر بتكريمه ، لأنه قرآن كريم في كتاب مكنون ، ولأنه في أم الكتاب لعلي حكيم ، بل من التكريم له أن يرفع عن الأرض ولا يوضع عليها .

المصحف يُعظَّم ويُكرَّم ولو بليت أو تشققت صحفه

قال في :[الدر المختار] أي : يجعل المصحف في خرقة طاهرة ، ويدفن في محل غير ممتهن لا يوطأ .

قال :وفي [الذخيرة] : وينبغي أن يلحد له ولا يشق له لأنه – أي : الشق – يحتاج إلى إهالة التراب عليه ، وفي ذلك نوع تحقير ، إلا إذا جعل فوق المصحف سقفاً ، بحيث لا يصل التراب إليه فهو حسن أيضاً .

وفي :[شرعة الإسلام] : وإذا بلي المصحف واندرس ما فيه فإنه يلفُّ في خرقة طاهرة ، ويدفن في مكان طيب لا يصيبه قذر ، ولا يطأه أحد اهـ

وقال في :[شرعة الشرعة] : وفي [شرح النقاية] : ورقة كتب فيها اسم الله تعالى ، وكذلك أسماء الأنبياء والملائكة واستغني عنها تلقى في الماء الجاري ، أو تدفن في أرض طاهرة ، ولا تحرق بالنار – أشار إليه الإمام محمد في السير الكبير .

قال في [الذخيرة] : وبه – أي : بقول الإمام محمد – نأخذ .اهـ

وفي [السراجية] : تدفن أو تحرق .

وكذلك في :[الفتاوى التاتار خانية] اهـ

قال : وفي [القنية] لا يجوز في المصحف الخَلَق – أي : الذي بليت أو تشققت صحفه – الذي لا يصلح للقراءة فيه ، لا يجوز أن يُجلَّد به القرآن اهـ أي : لا يجوز أن تجعل صحفه جلداً لمصحف آخر .

فاعتبر وادّكر أيها العاقل ! فإن المصحف فيه كلام الله تعالى ، وإن فضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه ، كما تقدم في الحديث الشريف . ومن أكرم كلام الله تعالى فقد أكرم الله تعالى .

ونقل في :[شرح الشرعة] عن :[البزازية] أنه لا يجوز مدُّ الرِّجل إلى المصحف ، إلا أن يكون المصحف مرفوعاً ، بحيث لا تقع المحاذاة بين موضع المصحف وبين الرِّجل .

قال : فإنه لا يكره حينئذ ، وكذلك لو كان معلَّقاً في وتد ومدَّ رجله إلى الأسفل ، لأن المصحف على العلوِّ فلم يحاذه اهـ بتصرف قليل .

وبهذه المناسبة نقول : قد نص الفقهاء على كراهة مدِّ الرجل إلى القبلة ، والدليل على ذلك أن جهة القبلة معظَّمة ومحترمة ، لأنها الجهة التي يقبل فيها العبد على ربه في صلواته وعباداته ودعواته ، وإنه يتجلى سبحانه على عباده في صلواتهم ودعواتهم وعباداتهم ، وطوافهم في قبلتهم .

قال صلى الله عليه وآله وسلم – كما في :[سنن] الترمذي وغيره :[فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما دام في صلاته] الحديث . وفي [سنن] أبي داود وغيرها ، عن جابر رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[أيكم يحبُّ أن يعرض الله عنه ؟ إن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تعالى قِبل وجهه ، فلا يبصقنَّ قِبَل وجهه ، ولا عن يمينه ، وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى] الحديث .
فجانب القبلة مكرّم ومحترم شرعاً ، ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استقبال القبلة واستدبارها حالة البول أو التغوُّط – تكريماً لها وتعظيماً ، لأن حالة التبوُّل والتغوط ليست مكرمة ولا معظمة ، فلا ينبغي أن يستقبل القبلة وهو على تلك الحالة .
روى البخاري ومسلم ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرقِّوا أو غرِّبوا]
قال أبو أيوب رضي الله تعالى عنه : فلما قدمنا الشام وجدنا مراحيض قد بنيت قبل القبلة ، فننحرف عنها ونستغفر الله تعالى .
وفي هذا كله دليل صريح في أن جانب القبلة معظَّم ومحترم ، ومكرّم شرعاً ، ولذلك كان المجلس الذي استقبل به القبلة له السيادة على غيره ، وله الشرف على غيره ، وله الكرامة على غيره ، كما جاء في الأحاديث النبوية كما أورد ذلك الحافظ المنذري في :[الترغيب] في الجلوس مستقبل القبلة فقال : عن أبي هريرة رضي الله تعالى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن لكل شيء سيداً ، وإن سيد المجالس قِبالة القِبلة] رواه الطبراني بإسناد حسن .
قال : وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[أكرم المجالس ما استُقبل به القِبلة]
رواه الطبراني في [الأوسط] وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن لكل شيء شرفاً ، وإن أشرف المجالس ما استقبل به القبلة] رواه الطبراني .
فهذه الأحاديث تدل على شرف جانب القبلة وكرامته وسيادته ، وإذا كان الأمر كذلك فليس مدُّ الرجل للقبلة تشريفاً لها ، ولا تكريماً لها ، ولا أدباً لائقاً بجانب القبلة ، فإن من المعلومات البديهية أن مدّ الرجل إلى العظماء أو الأشراف ، أو السادات ، أو الأفاضل ، يعتبر إساءة وتهاوناً وخروجاً عن حدود الأدب ، وقد أثبتت احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشرف والسيادة والكرامة لجانب القِبلة .

فاعتبر ، والزم الأدب ، فجانب القِبلة معظَّم ومحترم ، لأنه مُتجَه العبد إلى ربه في صلواته وعباداته كما تقدم ، كما أنه مُتجَه العبد إلى ربه في دعواته وابتهالاته . وقد روى الترمذي والنسائي ، والإمام أحمد – واللفظ له – عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال :[كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحي يسمع عند وجهه كدويِّ النحل ، فلبثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : [اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارض عنا وأرضنا] ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :[لقد أنزل عليّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة] ثم قرأ :{ قد أفلح المؤمنون } حتى ختم العشر]
فالقبلة معظَّمة شرعاً ومحترمة ، والمتوجه إليها ينبغي أن يتصف بصفة المحترم والمعظِّم لها .

كانوا يقبِّلون المصحف ويتمسَّحون به

روى الدارمي بإسناد صحيح ، أن عكرمة بن أبي جهل – الحي ابن الميت – رضي الله تعالى عنه كان يضع المصحف على وجهه ويقول : [كتاب ربيِّ] – أي : هذه كتاب ربنا ، أنزل إلينا بواسطة رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .
أي : ومن جاءه كتاب من عظيم فينبغي له أن ينظر فيه ، فكيف بالقرآن العظيم النازل من عند رب العرش العظيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ذي الخُلق العظيم .
ونقل في [الدرّ المختار] أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان يأخذ المصحف كل غداة ويقبِّله ويقول :[عهد ربي ، ومنشور ربي عز وجل]
وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه يقبِّل المصحف ويمسحه على وجهه اهـ

كانوا يستحبون النظر في المصحف إذا أصبحوا

نقل الحليمي في :[شعب الإيمان] عن يونس بن عبيد رحمه الله تعالى أنه قال : كان خُلقاً للأولين النظر في المصحف .
وقال الأوزاعي رضي الله تعالى عنه : كان يعجبهم النظر في المصحف اهـ
وقال صاحب [القوت] : كان كثير من الصحابة رضي الهع تعالى عنهم يقرؤون في المصحف ، ويستحبون أن لا يخرج يوم إلا وقد نظروا في المصحف . قال : وخرق عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه مصحفين من كثرة درسه فيهما اهـ

وقال العلاَّمة الفاسي رحمه الله تعالى : كان الأئمة والصالحون من السلف :أول ما يبدؤون به إذا أصبحوا النظر في المصحف ، وكانوا يأمرون من اشتكى بصره أن ينظر في المصحف اهـ

كانوا يستحبون توريث المصحف

وفي ذلك نوع من التعظيم للمصحف والتكريم له ، لأن شأن العاقل أن يورِّث ما هو عزيز عليه ، كريم لديه ، محبوب إليه ، يورِّثه لمن يحبه ، ولأجل أن يجري عليه أجر القارئ فيه من بعده .

فقد روى ابن ماجه بإسناد حسن ، والبيهقي وغيرهما ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :[إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علَّمه ونشره ، وولداً صالحاً تركه ، أو مصحفاً ورَّثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً لابن السبيل بناه ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته]

النصيحة لكتاب الله تعالى واجبة ولها مطالبها :

روى الإمام مسلم ، عن تميم الداري رضي الله تعالى ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[الدين النصيحة] ثلاثاً .

قلنا : لمن يا رسول الله ؟

قال :[لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم]

وروى الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال :[من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يمس ويصبح ناصحاً : لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ، ولعامة المسلمين فليس منهم]

فالنصيحة لكتاب الله تعالى من أهم واجبات الدين ، وأعظمها وأشدها مسؤولية عند الله تعالى ، والنصيحة لكتاب الله تعالى لها متطلبات عديدة .

وقد نقل الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى عن الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه :[تعظيم قدر الصلاة] عن أهل العلم من السلف الصالح في مطالب النصيحة لكتاب الله تعالى قولهم :

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فشدة حبه وتعظيم قدره ، إذ هو كلام الخالق عز وجل ، وشدة الرغبة في فهمه ، وشدة العناية في تدبُّره ، والوقوف عند تلاوته ، لطلب معاني كتاب مولاه أن يفهمه عنه أو يقوم به له – أي : لله تعالى بعدما يفهمه عنه –

وكذلك الناصح من العباد بفهم وصية من ينصحه إن ورد عليه كتاب من عُني بفهمه ، ليقوم بما كُتب فيه إليه ، فكذلك الناصح لكتاب ربه يعنى بفهمه

، ليقوم لله تعالى بما أمره به ، كما يحب ربنا ويرضى ، ثم ينشر ما فهم في العباد ، ويديم دراسته بالمحبة له ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه اهـ
ثم نقل الحافظ ابن رجب عن أبي عمرو ابن الصلاح رحمه الله تعالى قوله : والنصيحة لكتاب الله تعالى : الإيمان به ، وتعظيمه ، وتنزيهه ، وتلاوته حق تلاوته ، والوقوف مع أوامره ونواهيه ، وتفهُّم علومه وأمثاله ، وتدبر آياته والدعاء إليه ، وذبُّ تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه . اهـ
ومن واجبات النصيحة لكتاب الله تعالى : التزام العمل به ، معتقداً أنه الحق المبيِّن لجميع الحقوق والواجبات .
قال تعالى :{ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ } الآية .
ومعتقداً أنه هو القول الفاصل بين الحق والباطل .
قال تعالى :{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ }
وفي هذا يقسم سبحانه وتعالى بالسماء ورجعِها بالمطر الذي به حياة النفوس والأجسام ، وبالأرض وصدعِها بالنبات ، وإخراجها الثمرات والخيرات التي بها الأقوات لكل مُقتات ، أقسم بذلك على حقيّة هذا القرآن الكريم الذي به حياة الأرواح والقلوب ، فقال سبحانه :{ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ } أي : هو الذي يفصل بين الحق والباطل ، فيميز هذا من هذا ، وهو الذي يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وذلك يتضمن إثبات أنه هو الحق وليس بالباطل ، وأنه الجِد كلُّ الجِد ، وليس بالهزل ، فلا هزل فيه ولا باطل ، ولا عبث ولا لعب ، بل هو كله حق وحقيقة ، وفصل وإحكام .
قال تعالى :{ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ }
وقال صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم في الحديث :[هو الفصل ليس بالهزل] فلا يجوز أن تُتخذَّ آيات الله تعالى هزواً :
قال تعالى :{ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } والنهي عن اتخاذ آيات الله هزواً يتناول أموراً :
أولاً : سوق بعض الكلمات القرآنية في مساقات الهزل ، أو المزاح ، أو الضحك ، أو العبث – كما يفعله الزنادقة في مجالسهم .
ثانياً : عدم الاهتمام بأوامر القرآن ونواهيه ، بحيث إذا وردت عليه آيات القرآن وفيها الأوامر أو النواهي لم يعبأ بذلك ، ولم يرغب فيما رغَّبه الله تعالى ، أو لم يرهب ما حذَّر الله تعالى منه ، وكأن آيات القرآن في نظره أباطيل أو لهو ولعب ، ولا يرى فيها الحق والحقيقة ، والجِد والقول الفصل

، وفصل الخطاب ؟ قال تعالى فيهم :{ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ }
ثالثاً : الاحتيال على نصوص القرآن الكريم ، بأن يصرفها عن معانيها الواردة في السنة أو عن الصحابة ، أو عن السلف الصالح الذين تلقوها عن صدر هذه الأمة – يصرف تلك النصوص إلى ما تهواه نفسه ، فيتلاعب في الأحكام ويحلِّل الحرام ، إلى ما وراء ذلك ، وكأن نصوص الآيات القرآنية لعبة بين يديه يقلِّبها كما يهوى ويريد .
رابعاً : عدم الثقة واليقين بما أخبرت عنه آيات القرآن الكريم من أمور غيبية ، أو حوادث كبرى يستبعد ذلك من الوقوع .
وذلك مثل ما رواه ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن قتادة قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوته إلى تبوك إذ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون : أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها ! هيهات هيهات ! فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك فقال :[احبسوا عليَّ هؤلاء الرَّكب]
فأتاهم – فقال صلى الله عليه وآله وسلم :[قلتم كذا وكذا]
قالوا : يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب .
فنزل قوله تعالى :{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ }
فالنهي في قوله تعالى :{ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا } يقضي أن يكون موقف الإنسان مع القرآن موقف الجاد الحازم الجازم ، المهتم كل الاهتمام بالتمسك بكتاب الله تعالى ، والملتزم بآياته .
قال تعالى :{ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } صدق الله العظيم .
هذا وقد تم جمع هذا الكتاب ونسخه في التاسع والعشرين من رمضان المبارك 1401 هـ
نسأل الله تعالى القبول ، وأن ينفع به العباد إنه هو السميع العليم .
وصلى الله تعالى على إمام الأنبياء والمرسلين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، في كل وقت وحين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً أبد الآبدين .
والحمد لله رب العالمين

تلاوة القرآن المجيد

فضائلها – آدابها – خصائصها

بقلم فضيلة الشيخ الإمام المحدث المفسر سيدي عبد الله سراج الدين الحسيني رضي الله تعالى عنه

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون

وكلما غفل عن ذكره الغافلون

صلاة وسلاماً دائمين

إلى أن يقوم الناس

لرب العالمين .